تركيا تُطلق عملية غصن الزيتون للسيطرة على عفرين

اشتباكات عنيفة والجيش الحر يتقدم بمساندة الجيش التركي

الحرمل

السنة الرابعة / العدد 73 / 20 كانون الثاني 2018

الحرية دائماً

sayı 73 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

بانتظار تحقيق وعود إعمار الرقة

أهل الرقة يبنون ويرممون بيوتهم ويرفعون الأنقاض على نفقتهم الخاصة

الوقفة الأخيرة..!

كان من المقرر أن تستمر حملة الكشف عن المعتقلين والمغيبين قسرياً، التي دعا إليها الملتقى المدني للرقة، إلى حين تحقيق أهدافها من الناحية الحقوقية والإعلامية، وتشكيل رأي عام حول هذه القضية الهامة، لكنها جاءت على استحياء رغم وقوف صحيفة الحرمل ونقابة المعلمين معها، طوال الأسابيع العشرة على التوالي دون انقطاع، علّها تحرك الساكن في قلوب وعقول أهلنا، لكن وللأسف الشديد لم تحرك شيئاً، ولم تحدث تغييراً، ولم تشكل حالة عامة كان من الممكن التأسيس عليها لمخاطبة المنظمات الحقوقية والإنسانية والهيئات الدولية، للسؤال عن المعتقلين والمغيبين قسرياً عند النظام، أو لدى داعش، أو لدى قوات قسد، أو لدى الميليشيات بأنواعها.

الوقفة الأخيرة جاءت صادمة ومؤثرة، وحملت عنواناً مؤلماً «لا بواكي لهم»، وتُركت الصور واللافتات مركونة على سور دوار المدفع في شانلي أورفا التركية، دون أن يرافقها أحد من المعتصمين، في إشارة صارخة إلى أهلنا «أين أنتم؟». وسط دهشة وذهول المشاركين في الاعتصامات حول غياب الضمير، أو بالمعنى الحقيقي للكلمة تغييب الضمير في زمن تسيطر على أركانه مفاهيم مغلوطة حول آلية غلبة اللاجدوى في أي فعل نقوم به تجاه أهلنا المعتقلين والمغيبين في سجون داعش وقسد والنظام والفصائل الأخرى.

أغلب المنظرين، خصوصاً رواد الفيسبوك، كانوا يعملون بجدية على فكرة واحدة فقط، تتمثل في إنهاء هذا الاعتصام، وإحباط المعتصمين وبأي طريقة ممكنة، وعلى مبدأ إذا دخلت إلى بيتك بالقدم اليمنى، كان يجب عليك الدخول باليسرى، وإن دخلت باليسرى، يقول لك يجب أن تدخل بقدميك معاً، وإن دخلت بالقدمين، يريد منك الدخول قفزاً، وإن دخلت قفزاً، كان يجب عليك الدخول شقلبة، في موقف تعجيزي صادم لا يريد لك أن تتقدم خطوة صحيحة إلى الأمام، وهو أشبه ما يكون بموقف العاجز، أو هو يريد أن يحجز لك مكاناً في صومعته، في موقف يشبه مكانة هزازي الرؤوس في مجالس الشعب المهترئة، أو على أقل تقدير يريد لك أن تكون مجرد كومبارس، تؤدي أدواراً رخيصة لإحياء سيرته الثورية الميتة مادياً ومعنوياً.

موقف المعتصمين لم يكن موقف العاجز أو الميت، بل هو صرخة مدوية في وقت عزّ فيه الموقف الصائب، وعزّ أصحابه، وكنّا نأمل أن يلقى صدىً إيجابياً في قضية إنسانية بحتة، وبعيداً عن اصطناع المواقف واجتراح المعجزات، كان من الممكن وعلى أقل تقدير أن يكون إلى صف هذا الاعتصام كل من خرج لأجل الحرية والكرامة، وهم ليسوا بقلّة قليلة، ولن تنقص الوقفة من مكانتهم الثورية، وبظني أن الوقفة ليست تشريفاً بقدر ما هي تكليف، تقتضيه المصلحة الإنسانية أولاً وأخيراً.

ختاماً كل التحية والتقدير للرجال والأطفال الذين وقفوا معتصمين خلال عشرة أسابيع في ساحة المدفع في مدينة شانلي أورفا، وهم يرفعون شعارات تطالب بالإفراج عن المعتقلين والمغيبين، دون أن يحصلوا على التراخيص والموافقات، رغم عددهم القليل جداً، لكنهم كانوا كباراً بحق.

مدير التحرير: يوسف دعيس

بانتظار تحقيق وعود إعادة إعمار الرقة

أهل الرقة يبنون ويرممون بيوتهم ويرفعون الأنقاض على نفقتهم الخاصة

رغم الإعلان عن اجتماعات متلاحقة تجمع وفوداً من وزارة الخارجية الأمريكية ولجان مجلس الرقة المدني في بلدة عين عيسى، وضم الوفد الأمريكي عدداً من اللجان الفنية والمنظمات المدنية المختصة بنزع الألغام، وإعادة ترميم البنى التحتية والجسور والطرقات، ما زال أهل الرقة يتعرضون للقتل اليومي جرّاء انفجار الألغام داخل بيوتهم التي يحاولون العودة إليها، رغم احتمالات الموت أو الإصابة بلغم مفاجئ.

الحرمل ـ خاص

اجتماعات وفود الخارجية الأمريكية مع مجلس الرقة المدني، تزامن مع إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن نيتها بتخصيص مبالغ كبيرة لتأهيل جسور ومحطات مياه الشرب والصرف الصحي والكهرباء، وهي بالضرورة تؤسس لتهيئة الظروف للعودة الآمنة لأهل الرقة إلى بيوتهم المدمرة، ورغم كل هذا الحراك الذي تشهده الرقة، عاد الكثير من أهلها إلى مدينتهم، وبدأوا بإمكاناتهم البسيطة إعادة ترميم بيوتهم، وإزالة الأنقاض من الأزقة والحواري، دون أن ينتظروا من يقوم بإعادة الإعمار، أو ينتظروا نتائج وعود أمريكا والسعودية ودول أخرى، كانت قد قطعتها من قبل.

أجور لرفع الأنقاض والساعة بخمسين ألف

ونشر الدكتور فراس ممدوح الفهد على صفحته ما يؤكد مواصلة المجلس أعماله في رفع الأنقاض من شوارع الرقة وأزقتها، ودعمها بالصور التي تظهر حركة الآليات وعملها المتواصل، وهي تقوم بعمليات رفع الأنقاض وترحيلها. بينما نشر الناشط قحطان السيد أحمد الحاج عبو على صفحته ما يفيد بأن القائمين على أعمال رفع الأنقاض في مدينة الرقة طالبوا أقاربه بمبلغ يزيد عن مليون ليرة سورية لإزالة آثار التدمير الذي لحق بمنزل شقيقه الطبيب قيس السيد أحمد جراء استهدافه بغارة جوية من طيران التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، وفي المقابل نشر موقع الرقة بوست تحقيقاً بهذا الخصوص، وجاء فيه على لسان أحد سكان رميلة ما ذهب إليه الحاج عبو، «أحد المواطنين صرّح لموقع الرقة بوست عن عمل الآليّات قائلاً: في وقت سابق توجّه لهم عدد من المدنيّين ممّن لا يملكون المال، في حي الرميلة، وطلبوا منهم أن يقوموا بإزالة بعض الركام والسواتر الترابية من أحيائهم، ولكن لم يتمّ الردّ عليهم، ولم يُظهروا أي استجابة من قِبل لجنة إعادة الإعمار»، وأيضاً: «مراسل الرقة بوست داخل المدينة نقل لنا خبراً عن تواجد ستّ آليات في المدينة تتوزّع كالتالي: اثنتان بمنطقة الجنائية، وأربع آليات في منطقة البريد القديم، ولا تزال هذه الآليات جديدة لم تُستخدم أبداً حتى هذه اللحظة، وهي تقف منذ مدة طويلة ولم تتحرّك، ويوجد كاسحة ألغام في منطقة حيّ البياطرة بجانب حديقة الرشيد، وهي معطلة منذ أكثر من شهر تقف في نفس المكان.

بالإضافة لتواجد آليّات قديمة تُستعمل حين طلب أي مدني منهم لإزالة ركام أو أنقاض من أمام منزله أو حيّه، وذلك مقابل **100$** للساعة الواحدة أي ما يعادل **50** ألف ل.س».

الرقة بوست: ادفع أو حديد البناء المهدم مقابل رفع الأنقاض

وجاء في التحقيق الذي نشرته الرقة بوست مؤخراً: «وفق أمر المهندس نظمي محمد رئيس فريق عمل لجنة إعادة الإعمار، حيث يتمّ تأجير الآليّة الواحدة جرافّة، حفّار (باكر)، قلّاب.. ومَن لا يستطيع الدفع تتمّ مقايضة صاحب المنزل بإزالة الأنقاض مقابل الحصول على حديد البناء المهدّم، ومع عدم وجود حديد مستورد، وبسبب ارتفاع سعر الحديد، بدأ ينشط سوق الحديد المستعمل».

على الجانب الآخر، لا شيء يؤكد هذه المعطيات سوى بعض الأخبار التي لم نتأكد من موثوقيتها، وما يصلنا من الداخل عبر صفحات أعضاء مجلس الرقة المدني، أو بعض الناشطين المتواجدين هناك، والتي جاء فيها توصيفاً دقيقاً، يتضمن الحرص على إبراز أدوار الجانب المدني والإنساني في الرقة، ويقول الدكتور فراس ممدوح الفهد في إطار تطوير عمل مخيم عين عيسى: «وسع مكتب المنظمات والشؤون الإنسانية

التابع لمجلس الرقة المدني مطبخ مخيم عين عيسى القديم بعد تجهيزات وعمل متواصل من قرابة شهر، وقام بتوسيع مطبخ المخيم وتشغيل حراقات بديلة تعمل على الكاز السائل بدل من أسطوانات الكاز العادي، بهدف الإسراع بعملية تقديم الطعام لأهالي المخيم وزيادة كمية الطعام للنازحين وعدم التأخر عن موعد الوجبات، ويعمل في المطبخ **61** موظفاً مختصاً بإعداد الطعام، ويتم طبخ **8** طن في اليوم ويقابله **7000** ربطة خبز تقدم لـ **17500** نازح، ولسهولة العمل تم تقديم سيارتين من قبل المجلس لتوزيع الطعام على الخيام.

وأشار الفهد أنه تم البدء بجولة جديدة من حملة اللقاح ضد مرض شلل الأطفال في مدينة الرقة، وهي حملة لقاح شاملة من عمر يوم واحد إلى عمر الخمس سنوات تستهدف ما يقارب **180000** طفل، وتم تأمين **200000** جرعة للحملة الخاصة بأطفال الرقة كونه يوجد في المدينة ما يتجاوز **100000** نسمة.

وأضاف الفهد قائلاً: قمنا بتوزيع الفريق الطبي إلى أقسام ثابتة ومتجولة تبدأ من القسم الشرقي إلى القسم الغربي وكل قسم من خمسة متطوعين، والآن نحن في وسط حي المشلب، حيث قمنا بوضع مركز لقاح ثابت في شارع سيف الدولة، ووضعنا فرق جوالة داخل المدينة وخارجها، وقمنا بوضع مراكز للتلقيح حتى في المساجد، وذلك لاستقبال كافة الأطفال لتحصينهم من هذا المرض.

وعلى الأرض ما زالت قوات سوريا الديمقراطية تفرض منعاً للتجول في مدينة الرقة، يبدأ من الساعة الخامسة مساءً وينتهي الساعة السابعة صباحاً، وتحت دواع مجهولة الأسباب، وقد تم اعتقال العديد من الأهالي ضمن ساعات الحظر.

وتواردت أنباء من ريف الرقة الشرقي، الذي يقع تحت سيطرة النظام، تؤكد انتشار أمراض وانتانات جلدية في المنطقة، بسبب قلّة المياه النظيفة والنقية، وأدوات ومواد التنظيف والتعقيم، وندرة الدواء والمستلزمات الطبية، كما أن سماع دوي الانفجارات في عموم مدينة الرقة، ما زال يسمع بين الحين والآخر دون معرفة أسباب الانفجارات، وعلى الغالب تكون ناجمة عن انفجارات الألغام التي ما زالت تشكل خطراً حقيقياً يواجه أهل الرقة.

حظر تجول في الرقة إلى أجل غير مسمى

الأنباء الواردة من الرقة تؤكد أن العديد من الدول تؤيد قيام فيدرالية في شمال سوريا، وعاصمتها مدينة الرقة، وسيتم افتتاح مكاتب تمثيلية في ثلاثين دولة، منها دول عربية، وعلى وجه الخصوص، دول خليجية، وتتكفل الولايات المتحدة ودول خليجية في إعادة إعمار محافظة الرقة، كما تجري التحضيرات لإنشاء مطار مدني بالقرب من مدينة الرقة، وفي المقابل يرى أهل الرقة بأن تشكيل ما يسمى الفيدرالية هو ضرب من المحال، خصوصاً أنها تبنى على أساس إثني، وليس لضرورة تحتاجها المنطقة، وهي تأتي ضمن إطار لا يعكس حقيقة مطالب الشعب السوري، المبنية على أس يعتمد على وحدة الأراضي السورية، والفيدرالية تؤسس لتقسيم سوريا على أساس عرقي أو طائفي.

الصحة وإعادة إحياء الزراعة أولاً

الأهالي الذين عادوا إلى الرقة، ما زالوا يتحدثون عن معاناة حقيقية تواجه من آثر البقاء والعودة إليها، تجنباً لحياة الذل في مخيمات النزوح وفي مناطق اللجوء خارج سوريا، ورغم ذلك ما زالوا مدفوعين بالأمل، يعيدون ما هدّمته الحرب بسواعدهم، وبإمكاناتهم المادية البسيطة، يدفعون من مالهم الخاص أثمان البلوك والإسمنت ومواد البناء الأخرى لكي يتمكنوا من ترميم بيوتهم على نفقتهم الخاصة، دون انتظار الوعود في إعادة إعمار ما دمرته آلة الحرب الرهيبة، والتي أوقعت دماراً هائلاً في الرقة يتجاوز نسبة **80%**.

أيضاً من المهم التركيز على إعادة تأهيل المشافي والمراكز الصحية، وتأمين المواد الطبية والأدوية، خصوصاً أننا ما زلنا في فصل الشتاء، وبانتظار فصل الصيف الذي سيكون قاسياً إن لم نستعد له بشكل جيد، وضمن إمكانات توفر الحياة الآمنة للأهالي الذين يتوقع أن يتجاوز عددهم المائة ألف نسمة، ومن الضروري التأكيد على إعادة تأهيل محطة تصفية مياه الشرب وإعادة تأهيل شبكة الصرف الصحي، وإعادة التيار الكهربائي إلى جميع أحياء المدينة، ولا ننسى إعادة ترميم وتأهيل المدارس، لكي يتمكن الأطفال من العودة إلى مدارسهم وتلقي العلم بعد انقطاعهم الطويل عن الدراسة.

ختاماً.. الحديث عن إعادة الحياة إلى الرقة لا بد أن يرتبط بإعادة تأهيل البنى التحتية الزراعية، وننتظر أن يتم ترميم وتأهيل أقنية الري والصرف الزراعي، ومحطات الضخ والتحويل لمشروعات الري الحكومية، وهو بصيص الأمل في إعادة الحياة الحقيقية إلى الرقة، وهي المجال الحيوي الوحيد لأهل الرقة.

تركيا تُطلق عملية غصن الزيتون للسيطرة على عفرين

اشتباكات عنيفة والجيش الحر يتقدم بمساندة الجيش التركي

الحرمل - خاص

تشهد المناطق الخاضعة لسيطرة قوات درع الفرات، المدعومة من تركيا، تطورات تشي بانفجار الأوضاع، خصوصاً بعد إعلان تركيا عن إطلاقها عملية عفرين الخاضعة لسيطرة قوات البيدا، التي تصنفها تركيا من التنظيمات الإرهابية، رغم تلقيها الدعم المباشر من الولايات الأمريكية، التي أعلنت مؤخراً عن نيتها لتشكيل قوات عسكرية قوامها نحو ثلاثين ألف عمادها من القوات الكردية، وستقوم بنشرها على طول الحدود السورية التركية، الأمر الذي تعتبره تركيا تهديداً جدياً لأمنها القومي، ورغم أن أمريكا قد أعلنت تراجعها عن إنشاء هذا الجيش.

وبدأت المناوشات بين الطرفين منذ يوم الجمعة الفائت، وقامت القوات التركية بقصف مناطق عفرين بالمدفعية والصواريخ، وفي اليوم الثاني بدأ تحرك قوات الجيش الحر التي تساندها القوات التركية باتجاه عفرين، وسط اشتباكات عنيفة أسفرت عن تقدم الفصائل المدعومة من تركيا، التي سيطرت على عدد من القرى، وأطلق الجيش التركي على عملية عفرين بعملية غصن الزيتون، وبينما تبدو أمريكا غير مهتمة بعفرين، فتحت قوات الأسد ممراً لدخول التعزيزات العسكرية من الشيخ مقصود في حلب، وصولاً إلى عفرين، رغم أن تركيا قد أعلنت بأنها أعلمت سوريا بعمليتها العسكرية في عفرين، وأنباء من داخل عفرين تؤكد انسحاب القوات الروسية، رغم نفي وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الأنباء عن انسحاب الشرطة العسكرية الروسية من مواقعها في محيط قرية كفر جنة شمال عفرين، باتجاه مدينتي نبل والزهراء، وكان لافروف قد اعتبر أن جهود أميركا لتشكيل قوات محلية في شمال سوريا تتناقض مع الالتزام بالحفاظ على وحدة الأراضي السورية، وفي اليوم الثاني أعلنت موسكو انسحاب قواتها من محيط عفرين.

وكان وزير الدفاع التركي نور الدين جانيكلي، قد أعلن أن عملية تركيا في منطقة عفرين الخاضعة لسيطرة الأكراد في سوريا قد بدأت فعلياً، وبدأت بقصف مدفعي عبر الحدود، لكن لم تترافق مع أي تحرك للقوات التركية باتجاه منطقة عفرين.

وقال جانيكلي، في مقابلة مع قناة الخبر التلفزيونية، إن تركيا تطور أنظمة أسلحة لمواجهة الصواريخ المضادة للدبابات التي تستخدمها وحدات حماية الشعب الكردية السورية، مضيفاً: «سنقضي على جميع الشبكات والعناصر الإرهابية في شمال سوريا».

وكانت تركيا قد أرسلت في الأيام الماضية إلى المنطقة الحدودية عدة قوافل تضم مدرعات ومنصات مدفعية، وحشدت مزيداً من القوات على الحدود، وخصصت نحو عشرين شاحنة لنقل قوات من الجيش السوري الحر إلى منطقة إعزاز القريبة من منطقة عفرين.

وبينما وصلت أرتال الجيش السوري إلى مشارف عفرين، قال الجيش التركي، أنه قصف 153 هدفاً في عفرين شمال سوريا، معتبراً أن هذه الأهداف هي معاقل ومخازن وترسانات أسلحة يستخدمها مقاتلو وحدات حماية الشعب، وفيما تستمر نيران المدفعية باستهداف المواقع العسكرية في عفرين، بدأت الدبابات التركية بالدخول إلى منطقة إعزاز عبر باب السلام، في حين تابعت فصائل من الجيش السوري الحر تقدمها إلى مدينة عفرين السورية، وفي الوقت نفسه نفذت الطائرات التركية عدة غارات على مطار منغ العسكري، الذي تسيطر عليه قوات سورية الديمقراطية، فيما أعلنت وحدات حماية الشعب عن مقتل عشرة أشخاص من عناصرها في اليوم الأول من بدء المعارك.

واعتبرت سوريا عبر تصريحات نائب وزير الخارجية السوري فيصل المقداد بأن أي تحرك تركي باتجاه عفرين هو اعتداء سافر على السيادة السورية، مشيراً إلى أن سوريا أعادت تأهيل أنظمة الدفاع الجوي بما يؤسس أنظمة حماية دفاعية متكاملة، تستطيع سوريا من خلالها التصدي للطيران التركي، وقلل وزير الدفاع التركي من شأن تهديدات النظام السوري للرد على التحرك العسكري التركي في عفرين، وقال: «لا نعتقد أن تهديدات النظام السوري قد صدرت عنه بشكل مستقل فقط، وهناك دول من وراء ذلك».

وكان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد أعلن سابقاً بأن تركيا بحاجة إلى تطهير عفرين من وحدات حماية الشعب، فيما قال وزير الخارجية التركي، مولود تشاوش أوغلو في وقت سابق: «إن تشكيل «جيش إرهابي» على حدود بلاده مع سوريا سيلحق ضرراً لا يمكن إصلاحه بالعلاقات مع أميركا. فيما طالبت الخارجية الأميركية تركيا بعدم الدخول إلى بلدة عفرين السورية.

بدورها دعت الأمم المتحدة جميع الأطراف إلى الابتعاد عن الأعمال التي من شأنها زيادة التوتر، لحماية المدنيين في المنطقة.

وبالتزامن مع ورود أنباء تؤكد مباشرة القوات التركية بعملياتها العسكرية في عفرين، تواردت أنباء تؤكد أن الأوضاع في مدينة منبج على وشك الانفجار، على خلفية قيام قوات سورية الديمقراطية باعتقال عدد من الفعاليات المدنية ووجهاء العشائر، من الذين وقفوا بمواجهة سياسة البيدا، ومخاوف من حدوث صدامات محتملة، فيما صرّح الناطق الرسمي باسم قوات حماية الشعب في عفرين بأن العملية العسكرية التي تقوم بها تركيا في عفرين بالاشتراك مع فصائل الجيش الحر تندرج في إطار التفاهمات الدولية، ومقايضة بين إدلب وعفرين، مؤكداً بأن قوات حماية الشعب ستقوم بواجبها تجاه أهلها في عفرين وستتصدى لأي محاولة لتقدم القوات التركية، أو أي قوى أخرى تريد الدخول إلى عفرين، وفي هذا السياق أطلقت وحدات حماية الشعب عملية «صيد الثعالب»، رداً على عملية «غصن الزيتون» التركية.

ووجهت صحيفة الجيش التركي نداءً للسوريين تطلب فيه عدم الدخول إلى تركيا عبر طرق التهريب، حفاظاً على أرواحهم، لأن الحدود بين البلدين مغلقة، ومغطاة بالعناصر والقناصات.

وفي سياق متصل قال دبلوماسي في موسكو أنّ نقل وحدة المراقبة الروسية المنتشرة في عفرين إلى تل رفعت شمال حلب، خلافاً لتأكيد سبقه لوزير الخارجية سيرغي لافروف عن بقاء الوحدة في المنطقة، هو إشارة إلى أن موسكو توصلت إلى تفاهمات مع أنقرة حول طبيعة العملية العسكرية شمال غربي سورية وحجمها، وحصول أنقرة على ضوء أخضر لتنفيذ عملية محدودة في شمال سوريا. فيما أعلنت لجنة الدفاع في البرلمان الروسي بأن روسيا لن تتدخل في حال نشوء نزاع بين سوريا وتركيا.

شيلوها من رااسي..!!

عروة المهاوش

لم تشفع له طفولته اليافعة، وسنوات عمره الست، ولم تكن له سوراً يحميه من مصائب الحرب التي دارت في البلاد في غوطة دمشق الشرقية المحاصرة. كان «أويس» يساعد طفلاً بعمره فقد بصره بسبب قصف طيران النظام المستمر للغوطة زيادة في حصارها، وتجويع أهاليها هادفاً من هذا الحصار استسلامهم.

حين يهدأ القصف قليلاً كان يخرج بصاحبه «كريم» فاقد البصر نحو الشارع، ويصف له البيوت والأشجار ولون الأبواب، متعمداً حينها وضع يده اليمنى على كتف صاحبه اليمين، مسترسلاً في الشرح دون توقف، ويتعمّد بعض الأحيان رفع صوته قليلاً محاولاً، بتفكيره الطفولي، عدم لفت أنظار أقرانه، ومن يكبره سناً بمصيبة صاحبه الذي كان يوزع الابتسامات هنا وهناك بمجرد سماعه صوت من في الشارع. تنتهي الفسحة فوراً بمجرد تراكض الناس من حولهم، وسماع دوي انفجار بعيد. كان يطلب من صاحبه التعلق جيداً برقبته حاملاً إيّاه، وينطلق به نحو القبو «الملجأ»، والذي تتخذه عائلات كثيرة مكاناً للعيش فيه، تنتظره والدته بعيونها المرتعبة، وهي تلملم حجاب رأسها بيد، وتشير باليد الأخرى له ليسرع في الدخول ظناً منها أيضاً أن القبو سيحميهم من غدر صاروخ الطائرة التي ما زالت تقصف في المنطقة.

يتسارع نبض قلبه على باب الملجأ فتأخذ منه أمه صاحبه، وتقوده نحو بر الأمان، يتجه «أويس» فوراً نحو الماء ليجلب لصديقه «كريم» كأساً علّه يروي جسده بنوع من الاطمئنان بعد الخوف.

على مائدة الإفطار كانت العائلات تتبادل كل شيء من الطعام، فهذا يرسل لك حبيبات من الزيتون التي مضى على تخزينها شهوراً طويلة، فباتت بذورها أكبر من حجم قشورها، بعض الخبز اليابس برشة من الماء يعود طازجاً، ثم يضاف إليه رشة من زعتر مخلوطة بغبار البيوت بعد القصف فيها نكهة ورائحة أهاليها الذين تسابقوا نحو السماء، كل لقمة بغصة لكثير من الأمهات والآباء الذين تتحجر دموعهم في مآقيهم فيفضلون الابتسام قليلاً، والالتفاف نحو الوراء بحجة جلب شيء ما، لكنهم في الواقع خجولون من دمعة سببها عدم قدرتهم على تقديم طعام بشري لأطفالهم.

في كانون الأول يشتد البرد، ويصبح التنفس مطلباً داخل القبو علّه يضيف بعض الدفء لمن فيه، بينما يغلق بابه بالكثير من البطانيات، والأقمشة منعاً لدخول الهواء البارد، قليل من أغصان الأشجار مع قطعة ملابس بالية تعطيهم في لياليهم الباردة الدفء والضوء المؤنس لموتهم.

تلك الليلة شعر بارتجاف صاحبه من البرد فألبسه طاقية الرأس التي يملك، وضمه نحو صدره ليرتجف جسداهما معاً متراقصين على أنغام حناجرهم المتشنجة برداً.

في الصباح قرّر جلب المزيد من الأقمشة من الحي المجاور، كان يعلم بخطورة الأمر على حياته ومتيقناً أن والديه سيرفضان هذه الفكرة، غادر قبل انبثاق الضوء متأملاً العودة قبل استيقاظ صاحبه وأهله، هرول مسرعاً بين الأزقة والحواري، شعر برغبة في الغناء والقفز، وتحولت صور الركام أمامه إلى بيوت، وامتلأت الشوارع بالأطفال وهم ذاهبون إلى مدارسهم، ونشيد موطني موطني، الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك في رباك والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك في هواك هل أراك هل أراك...!!

كان يصرخ بأعلى صوته شيلوها من رااسي، معتقداً أن قطعاً من الشاش تلف عينيه وتمنعه من الرؤية فيصرخ مرة ثانية، يداه مربوطتان على السرير تحسباً من أن يلمس محجر عينيه المتورمتين، بعد أن فقد بصره نتيجة إصابته برأسه، في محجر عينيه كرتان من البلاستك بدلاً من البؤبؤين اللذين كانا يشعان يوماً، صرخة ثانية تعتصر قلب والدته الضعيف، وتحاول الصرااااخ بأعلى صوتها أاااه يا طفلي يكفيك صراخاً فأنت كصاحبك «كريم» فتكتم تلك الصرخة وتنهار أمام طفلها الذي لم يعد يراها لتبقى صرخته «شيلوها من رااسي» أقوى من صوت الطائرات التي ما زالت تبحث عن المزيد من العيون لتفقأها.

ندوة حوارية حول مؤتمر سوتشي

بدعوة من الملتقى المدني للرقة، اقيمت ندوة حوارية في مقر صحيفة الحرمل تحت عنوان: «سوتشي وتسويق الحل السياسي الروسي في سورية»، حضرها أعضاء من الملتقى المدني للرقة ومجموعة من الشباب المهتم بالشأن السياسي.

حاضر فيها الأستاذ أمجد آل فخري حيث بدأ أولاً بتعريف للملتقى المدني وأهدافه، وذكر أبرز نشاطات الملتقى الذي أقامه مؤخراً بمشاركة فعالة من قبل المهتمين بقضية المعتقلين والمخطوفين، والذي تجلى بالوقفة التضامنية الأسبوعية، التي استمرت على مدى عشرة أسابيع متتالية.

ابتدأ المحاضر بتعريف مبسط للتسويق السياسي حيث قال: هو علم حديث مشتق من التسويق التجاري، وهو يُعنى بتسويق الأحزاب والمرشحين والبرامج، وكيفية تحقيق قبول المستهلكين بها، وهم المستهدفون بهده البرامج.

ثم استعرض المحاضر تاريخ نشوء المصطلح، وألمح إلى أن طغيان الشكل على المضمون في استخدام أساليب التسويق السياسي. وأخيراً توقّف عند تعريف جمعية التسويق الأمريكية للمصطلح.

تلك المقدمات لعرض الفكرة الأساسية عبر الإجابة على السؤالين:

ما الأفكار التي تحملها الرؤية الروسية للحلّ السياسي؟ وما المرتكزات التي تعتمد عليها الرؤية الروسية في التسويق؟

وتوقّف المحاضر مطوّلاً عند وثيقة جنيف1 ومضمونها وكيفية صدورها واختلاف القراءات لبند الانتقال السياسي بين الروس والأمريكان، وطرح مبادرة بوتين التي استقرّ اسمها على مؤتمر الحوار السوري الذي سيعقد في سوتشي.

ويرى المحاضر أنها -في جانب منها على الأقل- نوع من التسويق السياسي للانتخابات الروسية وإشهار لترشّح بوتين لانتخابات الرئاسة الروسية، ثم استعرض بعض النقاط التي يراها مقتل الرؤية الروسية للحل السياسي في سورية.

وتركزت مداخلات الحضور حول ما جرى في سورية منذ بدء ثورة الشعب السوري عام 2011 وتعريف بعض المصطلحات التي يتم تداولها اليوم في الإعلام العربي والغربي حول مفهوم الثورة ومحاولة وصفها بالأزمة. وكانت أفكار الحضور الشبابي تنم عن وعي كامل لما يجري حولهم على الساحة السورية، وتبشر بمستقبل واعد لسوريا الجديدة.

الحرملي

العرس الديمقراطي الأصفر..!

زبير الشويخ

ساحة مدرسة ابتدائية تهدّمت نصف صفوفها، وتناثرت على سورها المهدّم أحلام طلابٍ لم يزوروها منذ سنوات عدة حتى أصبح غالبيتهم أمّياً. مجموعة من أهالي المنطقة مجتمعين في وسط الساحة، وليس لتسجيل أبنائهم في المدرسة. أحد المبشرين بالديمقراطية الجديدة يتأبط حزمةً من الأوراق المطبوعة، ويقف أمام صندوقٍ مفتوحٍ من المقاعد المدرسية المكتظة بالأهالي مطلقاً صرخاته وشاربيه الكثيفين حتى لا تكاد ترى مصدر الصوت، منتصباً بين المجتمعين يصدر أمراً بالوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء، «الذين أوصلوه لمكانه هذا»، ويبدأ بتذكير المجتمعين بمنجزاته ضد العبودية والرجعية والشوفينية والاستبداد، ودوره في تحرير المنطقة من الإرهاب الأسود، ويكملُ بتأنٍّ الحقن الموضعي للمضاد الحيوي المنمّق بلسان المنظّر السياسي الأمريكي الاشتراكي الشيوعي «مورآي بوكتشن»، وجرعة من مصطلحات القائد التاريخي المنسوخة أصلاً من عرّابه المنظّر، ليقنعهم بضرورة المشاركة في الكومين العظيم لبناء أخوة الشعوب بمنهج التعايش السلمي من خلال الفلسفة الأممية التحررية، وبلغةٍ ثقيلة المفردات مرتجفة المخارج والحروف يعلن تشكيل «مجلس الشعب» لهذا الحي، (نعم أيها القارئ)، مجلس شعب في حيٍّ سكنيٍّ يقع على أطراف مدينة مهترئة المعالم، ولا يتعدّى ساكنوها بضع آلافِ نسمة، وكلُّهم من جَدٍّ واحدٍ.

مبتسماً، يحيّي الحضور ويشكرهم على المشاركة في هذا العرس الوطني والانتخابات الشفافة، ويدعو المشاركين للتسجيل للحصول على كوبون المساعدات الشهرية، ومع خروجهِ من المدرسة يودِّع المنتَخَبين بسرعة، وبحرارة يودّع الرئيس المشترك المنتخب لمجلس الشعب قائلاً: «مبروك هافال»..!

في «الانتظام والحرية» (1)

قصي مسلط الهويدي

ما هو الدافع الغريزي الذي يدفع حتى الحيوانات إلى أن تفر من الأسر، وتسعى إلى «تحرير» نفسها؟

هل هناك شيءٌ اسمه: غريزة الحرية -إذا صح التعبير- وهل النزوع والدوافع إليها غريزية؟ هل هي معطىً أولي إذاً، وبالتالي، سابقة على الوعي وتطوره؟ أم أنها مجرد «نتاج تطوري» تراكمي؛ مرتبط بتطور «وعي الأنا» بذاتها وبالآخر، ونتاج تطوري -كذلك-للاجتماع البشري؟!!

هنا سنجد أنفسنا مرغمين على تتبع السردية من بدايتها الأولى (قدر المستطاع، بما يسمح به المقام) لنصل تالياً إلى محاولة الإجابة، التي نرجو أن تقارب الموضوع أكثر، ولكن برؤيةٍ «مختلفة» لرصد «الدوافع الأساسية» المتحكمة بالسلوك وأنماطه المترتبة عليها؟

لنبدأ من البداية/ات الأولى:

عندما ظهر «الإنسان» على الأرض، وقبل نشوء «الاجتماع» بشكله الذي نعرفه، حيث كان ما يزال جزءاً من «مملكة الحيوان» لا يفصله عنها الكثير، بدأ بالتمايز ضمنها: كائناً عارياً -بالمعنى الحقيقي وليس المجازي- ضعيفاً نسبياً؛ دون مخالب أو أنياب، لكنه كان «الأذكى» على الدوام!

وككل الكائنات الحية؛ كان شاغله الأكبر والأهم هو: «البقاء» فحياته هي أثمن ما لديه، وكل ما تلاها هو تالٍ عليها.

هو -كإنسان- مولودٌ لأبوين (بداهةً) أي أنه نشأ ضمن «أسرةٍ» ترعاه إلى أن يبلغ أشده، ليبدأ بدوره بإنشاء أسرته، والتي ستكون تالياً، جزءاً من الأسرة الأصل/الأم على الأرجح. وقد لاحظ من خلال «التجربة» أن بقاءه مرهونٌ «ببقاء تلك الأسرة وبتماسكها» حيث أن وجوده يكون مهدداً (تهديداً يصل إلى الموت غالباً، أو الاستعباد أحياناً):

- إذا هو غادرها دون أن ينتظم في سواها.

- أو في حال هي تخلت عنه لأي سببٍ كان.

لهذا هو لن يجرؤ على الخروج، أو على فعل ما يوجب إخراجه منها، أو ما يستجلب عليه غضبها، بل سيخضع لها خضوعاً «مطلقاً» كي يحافظ على حياته (هنا ندرك لماذا وُصِفَتْ كل حالات الخروج على «الجماعة/ القطيع في التراث العربي «بالصعلكة» وكان أتباعها مجرد صعاليك، ولم يوصفوا «بالأحرار» يوماً) وبمرور الوقت؛ ستتطور الجماعات، وستتعقد علاقاتها الداخلية والبينية وأشكالها، وستضم أفراداً يتعاونون على البقاء، ولكن بنسبٍ متفاوتةٍ، تبعاً لمقومات كلاً منهم: من حيث القوة والفتوة وكذلك من حيث الذكاء، وسيتصادف أن يكون منهم من يقدم النصيب الأكبر من الحماية لتلك الأسرة/ الجماعة، لذا فإن خروجه منها يعني تهديداً مزدوجاً: لبقائه ولبقائها أيضاً، أي أنه سيصبح، نتيجةً لهذا الدور الذي يؤديه؛ عمادها الأساسي و«عميدها» وستقع عليه مسؤوليةٌ مضاعفة: إذ لا مجال للتفريط بحياته وحياة الآخرين. هنا ستتكرس زعامته وكذلك تبعيته للجماعة في آنٍ معاً: فلا بقاء له دونهم، وكذلك لا بقاء لهم.

ثمة حالة ثالثة تهدد الجميع بخطر الفناء، فبالإضافة للخروج الطوعي، أو الإخراج القسري، هناك:

- انفراط «عقد» الجماعة، وتفكُّكها!!

وهو الخطر الأكبر، حيث أن نتائج الخطرين الأولين فردية ومحدودة، أما هذا الأخير (أي انفراط العقد) فإنه يهدد الجماعة عن بكرة أبيها، وهذا ممكن الحدوث على الدوام:

- إما نتيجة التعرض لعوامل خارجية، وهذه لا دافع لها، فهي خارجة عن إرادتهم، وعليهم أن يعدوا العدة لمواجهتها ما استطاعوا.

- وإما نتيجة عوامل ذاتية النشوء ولأسبابٍ داخلية (وهي عديدة: كالاحتراب على السلطة مثلاً) لذلك يُعمل على تلافيها، وعلى حلها سلمياً قدر الإمكان.

- أما أخطرها وأكثرها تهديداً للبقاء فهو: الانفراط الذاتي الناشئ عن عدم «رغبة» الجماعة في البقاء متحدةً، حيث يبقى هو الأكثر غرابةً عن سلوك «القطيع» وغير القابل للتبرير والفهم، وهو ينشأ -فقط- عندما يكون لأفراد تلك المجموعة «أهواءٌ مختلفة» أي أن لديهم «حرية» اختيار ما يناسبهم (ومنها: حرية الانتظام في الجماعة أو لا) وهذا ما لا يمكن التهاون فيه، أو السماح به. إنه الطامة الكبرى!

هنا؛ عندما يصل الأمر إلى «حرية الرأي» لا مجال للتساهل أو التهاون مطلقاً، فلا مكان لرؤيةٍ مخالفة، أو حتى مختلفة، عن القطيع، وإلا ستكون العاقبة وخيمة على الجميع: الموت أو الاستعباد

ولهذا سيكون العقاب شديداً: خلع الجماعة لذلك العضو المارق! الذي «يحرِّض» الآخرين، وتركه وحيداً يواجه مصيره المحتوم! إذا كان معدوم الأثر أو محدوده، كي لا يصبح مثالاً يُحتذى، أما إذا كان لدعواه أي صدى يذكر، أو بدأت بتكوين أنصار؛ عندها سيكون القتل مصيره ومصيرهم.

دعونا نستمر في رصد التنامي الطبيعي لسرديتنا:

ففي حموة الصراع المميت والذي لا يهدأ، ستأتي لحظةٌ ما، تتعرض فيها تلك الجماعة إلى نوازل أقوى من قدرتها على دفعها، وستدرك أن بقاءها مرهونٌ بقوتها المتأتية من «الكثرة» وكذلك من تضافر جهود كل أفرادها وانتظامهم معاً، لذلك ستسعى لتقوية ذلك «الانتظام» وتعزيزه، وإلى تعزيز كثرتها، وستحقق ذلك من خلال:

- إما الاتحاد مع غيرها، بما يحفظ لها شكلاً من أشكال الخصوصية والاستقلال.

- أو الاندماج الكامل مع أشباهها من الجماعات.

- أو من خلال صراعات الإخضاع والخضوع القسريين، بحسب موازين القوى.

يتسلسل هذا «السلوك» متنامياً، عبر الصراعات الدامية والعنيفة، التي لا تنتهي، ولا تعطي لأحدٍ فرصة التأمل في «خياراته» أو في مصيره الخاص، هكذا وصولاً إلى تشكُّل الإمبراطوريات العابرة للأقاليم والأقطار.

دوامة عنيفة، لا تنتهي ولا تتوقف أبداً، يُفرض على الجميع -قسراً- الدوران فيها؛ فليس هناك شيء أهم من «البقاء» والذي يستنفد كل طاقة متوفرة؛ ذلك البقاء المعدوم الفرص خارج «الانتظام في زمرة/جماعة»

الإدارة من التوريث إلى العلم

د. عبد القادر الملي

في عام ١٨٨٥ كان المهندس فريدريك تايلر مسافراً من مدينة أمريكية إلى أخرى. توقف القطار في إحدى المحطات بجانب ورشة عمل لتمديد سكة موازية، لفت انتباهه فارق العمر بين العاملين، ابتداءً بسن الطفولة وانتهاءً بسن الشيخوخة. لم يكمل سفره إنما ذهب مباشرة إلى مقر إدارة العمل وطلب لقاء المدير. بعد نقاش مع المدير حول الإنتاجية والربح والخسارة وأمور أخرى بخصوص التنظيم الجذري والكلي للعمل يمكن أن تعود بفوائد كبيرة على الشركة، ترك عنوانه ثم غادر إلى وجهته. لم يتأخر رد الشركة على اقتراحه، قدم فريدريك تايلر لإدارة الشركة رؤيته لإعادة التنظيم على أساس علمي ومدروس عوضاً عن الفوضى السائدة. تضمن برنامجه التركيز على القوة والاستمرارية خلال ساعات العمل. طلب من كل عامل نقل طنين من الفحم مسافة معينة خلال زمن معين، استطاع عدد قليل من العاملين نقل كمية الفحم ضمن معيار الوقت والمسافة. أعاد فريدريك تايلر الطلب ممن استطاع نقل الكمية أن ينقلوه، ولكن خلال زمن أقل، هنا أيضاً نقص عدد العاملين، واستمر على هذا المنوال يقلل المدة الزمنية إلى أن بقي عامل واحد استطاع نقل كمية الفحم في آخر مدة زمنية حددها لهم، واعتبر هذه المدة هي المعيار اللازم لقبول أي عامل في مجال نقل الفحم، واعتبار هذا الأسلوب يمكن تطبيقه في جميع أنواع الأعمال إلى جانب بعض الأمور التنظيمية الأخرى، كدفع أجر مضاعف لكل عامل ينجح في اختبارات تحمل الجهد المبذول خلال ساعات العمل.

بعد تطبيق تجربة فريدريك تايلر هذه تم التخلي عن أعداد كبيرة من العاملين ممن هم في سن صغيرة لم تتحمل هذا الإجهاد، وكذلك كبار السن، لكن بالمقابل زادت أجرة العاملين الأقوياء، وما إن تعمم أسلوب تايلور حتى عمّت المظاهرات المدن الكبرى في أمريكا نتيجة زيادة أعداد العمال المسرحين من مختلف المهن، وازدادت الصدامات بين أرباب العمل والعمال المسرحين بالملايين، لكن في النهاية سادت أفكار تايلور.

في ذلك العام اجتمع فريديك تايلر، وبعض زملائه ليحتفلوا لأول مرة في التاريخ بمناسبة تحوّل الإدارة من وراثة تنتقل من الآباء إلى الأبناء إلى علم وحسابات علمية، تخضع لها جميع الأعمال الإدارية والتنظيمية المتمثلة في الأسس الأربعة التي وضعها فريدريك تايلور ليتبناها كل مدير وهي:

التخطيط - التنظيم - التوجيه - الرقابة

تطورت النظريات والمدارس الإدارية على يد علماء كثر من خلال التوسع في الأبحاث العلمية، وبالاستعانة بنظريات علم الاجتماع وعلم النفس حتى وصلت علوم الإدارة إلى ما وصلت إليه اليوم من أهمية على مستوى العالم. بالطبع اختلف العلماء حول ما إذا كانت الإدارة علم كباقي العلوم كالرياضيات والفيزياء والكيمياء، إنما اعتبروها مجالاً واسعاً للأبحاث العلمية لمختلف العلوم، لأن تعريف العلم كما هو معلوم أن النتائج التي نحصل عليها نتيجة إدخال مدخلات محددة يجب أن تعطينا مخرجات محددة بغض النظر عن الزمان والمكان، كأن نقول: ١+١= ٢ ولكن هذا الأمر لم يحدث في الإدارة، فزيادة أجر العاملين بنسبة ٥٪ قد لا يحقق نفس الدرجة من الرضا لدى جميع العاملين في الشركة الواحدة.

في رأس العين

آرام كربيت

كنت في الحادية عشرة من العمر عندما خرجت للعمل في البراري، المصالح كما كان يقال، لحصاد القمح والشعير في غرب رأس العين في العام 1969 مع جارنا كارو أبو ليفون.

في ظل الصيف الحار والصمت، والبراري العذبة والنقية، في بدايات شهر حزيران جلست مع صوت النسيم بحضور العمال والليل وأبو ليفون سيد المصلحة. في الحقيقة، كان مهاباً من الجميع بالرغم من أن طوله لم يكن يتجاوز المئة وخمسين سنتمتراً. من قال إن حضور بعض الناس لهم وقع عميق في الآخرين، لأنهم طوال. صحيح أن الشرق يقدس الطويل والمهيوب، ولكن بالمقابل لا يمكن إلغاء قوة البعض مهما كانت صفاتهم. ففي لقائنا النادر به كنّا نتطلع إلى وجهه، ونتمنى أن يروي لنا ما تجود به قريحته من حكايات تتناسب مع ذلك الوقت من الزمن.

قال أبو ليفون بعد شفط جرعة من كأس العرق، ذلك الورد العالق في السماء، الذي أمامه مع القليل من الزيتون المغموس بالفليفلة والليمون وبعض المخلل على طاولة ثلاثية الأرجل، قال للرجال:

ـ إحدى المرات كنت على سفر بالجيب الويلس في براري الجزيرة العذبة، والدنيا برد ومطر، والغيم الأسود يغطي السماء والأرض، والعتمة المدلهمة تغلف الأرض من كل حدب وصوب. والعاصفة الهوجاء المعوجة تمد عنقها وتزرعه في لبي وعنقي تعصرني، وتنتشلني من مكاني لترميني في مكان آخر. ضيعت الأبعاد، الشرق والغرب، الشمال والجنوب. صقيع العالم كله حطّ رحاله علي في ذلك اليوم البائس. السيارة باردة وأنا بارد والمكان ظل مخفي لا يعرف الأبعاد، ورأيت شيئاً لم يكن في الحسبان!

رأيت أحد العمال فاغر الفم واللسان والعينين، رافعاً مقامه إلى الخيال والنور، ينظر بهوس صوب أبي ليفون قبل أن يقول:

ـ ماذا رأيت عمي أبو ليفون.

في الحقيقة كانت جميع العيون فاغرة. والأجساد مسترخية، من عتالين وسائقين وخياطين وبقية الدراويش والبسطاء، وعقولهم متجهة صوب أبو ليفون، صوب كلماته القادمة من وراء الغيم. وأبو ليفون ديك كبير، منتشٍ وسعيد بهذه الجمعة من المهتمين به وبأقواله، يمدون ألسنتهم وآذانهم، ليسمعوا ما تجود به قريحته من كلمات من الدرر الفارغة التي يلفظها، بينما الآلة الحصادة بأضوائها البعيدة، تقص السنابل وتملأ الأكياس بالحبوب.

قال أبو ليفون:

ـ رأيت ثلاثة قطط سوداء اللون!

ـ قطط في الليل؟ في البراري؟

ـ ثلاثة قطط في البراري يرقصن أمامي، ويلوحن لي. كلما أدعس على نابض البنزين، وأدفع السيارة نحو المزيد من السرعة، أرى القطط تزداد سرعة. كان يحرك يديه، ورأسه إشارة على قيادته للسيارة، وتابع:

لم يتبللن بماء المطر. كان وبرهن جافاً. المطر لا يقترب منهم على الإطلاق.

ـ هل خفت يا عمي أبو ليفون؟

ـ عمك أبو ليفون لا يخاف أبداً، هكذا رد العم كارو أبو ليفون

ـ هل قلت بسم الله الرحمن الرحيم؟

ـ لم أقل أي شيء. كما تعرف أنا مسيحي. لم أرسم علامة الصليب. كما لم اقرأ ترنيمة أبانا الذي في السماوات. ثم ضرب يده على صدره بقوة شديدة حتى كاد يمزقه، وأضاف:

ـ القلب حديد، فولاذ لا يخاف من الغيوم السود والقطط السود. إنهن عبارة عن حيوانات صغيرة. كنّ يرقصن، فلِمَ الخوف؟

ـ وماذا فعلت بعد ذلك. ألم تُغرس السيارة في الطين والوحل.

ـ قلت لك معي الجيب الويلس. إنه حصاني الأسود. ألا تعرف الجيب الويلس، ألم تسمع به من قبل؟ اذهب وانظر إليه.

ـ أعرفه. إنه جيب صغير، قوي جداً ولا توقفه وحول الأرض والسماء.

ـ معك حق. إنه يتحدى الجبال والوديان والوحل. وضعت «الدبل كير»، ولم أتركه يقف. وأبقيت على السرعة ذاتها. دهست القطط. وسرت بعون الله تعالى، بيد أنهن قفزن وخرجن من تحت الدواليب وعدن للجلوس في منتصف الطريق الموحل.

رجل آخر، فاغر الفم والجسد والروح، قال:

ـ الله يوفقك يا أبا ليفون أكمل حديثك الشيق والرائع.

ـ كلما أدهسهن أراهن أمامي. كنّ من الجن. أرسلهن الله لي في تلك الليلة الليلاء ليمتحن إيماني. لقد نجحت. الله يعرف أنني أعبده وأقدسه. لهذا تابعت سيري على بركة الله.

ـ يقولون يا عمي «أبو ليفون» إن الجن يخاف من الحديد، وضوء مصابيح السيارة. هل هذا الكلام صحيح؟

ـ هذا الكلام صحيح، بيد أن الدواليب تبدد قوة الحديد لهذا يخرج الجن للإنس.

على ضوء القمر رأيت وجوه الرجال يشوبها الخوف والقلق والتوتر.

ـ وماذا بعد؟

ـ وعندما وصلت إلى طريق شبه جاف مرمياً على الصخر أوقفت الجيب ونزلت منه، والتفتّ نحو اليمين واليسار، لم أر أي شيء. كان المطر يتساقط الهوينى. والعاصفة تبددت، والحياة عادت للاسترخاء والتمدد. أخرجت علبة السجائر وعمرت لفافة واحدة، ودخنت على مهل. استنشقت المزيد من الهواء النظيف ثم عدت للمقود، وما أن أدرت المحرك حتى عادت القطط مرة ثانية، بيد أني لم أبال بهن. تعاملت مع الموضوع كشيء عادي تماماً.

كانت أنفاس الرجال مشدودة، فيها أناة، يسمعون لكل كلمة بدقة شديدة. وبين الفينة والأخرى أسمع شهقة وجع أو رنة ألم أو كلمة آه.

هناك شيء ما يدغدغ هؤلاء في حديث أبو ليفون الذي ملك لبهم وعقلهم.

كنت أسمع هذا الحديث والرعب يملأ كياني وقلبي. دقات قلبي كانت تزداد مع كل كلمة يخطها فم أبو ليفون.

كنت أقول:

ـ قطط سوداء في الليل؟ إنه رجل قوي، جبار هذا الرجل القصير، صاحب العينين الواسعتين، يدهس الجن ولا يخاف.

عندما عدنا إلى رأس العين قلت لوالدي حديث أبو ليفون. قال لي:

ـ إنه كذاب. هذه أضغاث رؤى. هذه أحاديث فارغة. لم ير قطاً قط. إنه جبان وكذاب. لا تسمع لمثل هذه الأحاديث، وهذه الأشياء الخرافية. لا يوجد جن أو أشياء لا مرئية.

في هذه اللحظة من حديث والدي رحت في رحلة غرائبية عن معنى أن يكذب الإنسان، ويتعالى على الواقع ويسرقه ويضمه إلى نفسه. لقد أحبط والدي خيالاتي وخوفي، وأعادني إلى جادة الواقع والصواب قبل أن يتابع حديثه:

لقد عملت في البراري، في الصيف والشتاء، وسمعت مثل هذه الأحاديث الفارغة من الكثير من الناس، بيد أني لم أر أي شيء. كنت أقود الجرار في الأماكن البعيدة عن المدينة. في البراري غير المأهولة، وتحت ضربات البرد والليل الثقيل والعتمة المدلهمة، وحدي أفلح الأرض، ووراءي سكة حديد، متعددة الرؤوس تشق الأرض. العتمة وحدها كافية أن تجعل أقوى رجل في العالم يخر منهاراً من الخوف. لم أر ما هو غريب أو خارج عن المألوف. رأيت الكثير من الذئاب والضباع والثعالب والأفاعي، لكنهم بمجرد أن يروا الجرار أو ضوء الجرار حتى يولوا الأدبار.

لقد فلحت في منطقة جنوب الرد، في تلك المنطقة النائية والمعزولة عن الناس، وعلى حدود تركيا والعراق والرقة، وفي جوار الخابور، وفي أعماق حدود مبروكة ما بين الجزيرة والرقة.

خفت مرات كثيرة. الخوف من المجهول شيء طبيعي. هذا الخوف هو الذي يدفع الإنسان إلى التخيل واختراع كائنات غير حقيقية كالجن أو غيرها.

ثم مج سيجارته وأخذ مصاصة المتة وشرب شفة بها، وأضاف:

ـ أنت رجل قوي يا آرام. وابق قوياً كما أعرفك. أبو ليفون رجل جبان يضرب زوجته وأولاده، ويهرب من واجباته الأسرية ويشرب العرق. إنه لا يستطيع النوم. كما ترى، يبقى سهران طوال الليل يشرب حتى يتعب ويخدر جسده كي يستطيع النوم.

في المصلحة كنت أغسل الصحون والكؤس. وأدخل في الجملونات، في داخل مؤخرة الحصادة في يدي مفك البراغي ولاوية كبيرة. وهذه الجملونات مثل الشفرات الحادة، مسنونة الرؤوس يمتلئ في داخلها القش والسنابل التي لم تستطع الحصادة هرسها. أبدأ بالمفك واتبعها باللاوية ثم أدفع القش للخروج من الجملونات على شكل كومة وراء أخرى.

إحدى المرات كنت أنظف الجملون، وإذ بأحدهم يشغل المحرك. صرخت بملء صوتي وتعربشت بالشفرات قبل أن يدور المحرك دورته الكاملة. ورميت نفسي من مؤخرة الحصادة، بيد أن أقدامي بقيت عالقة فيهم ورأسي تدلى إلى الأسفل. كنت أصرخ وأبكي. وما أن توقف المحرك حتى حملني أحدهم وأخرجني، قلت لهم:

ـ ألا تعلمون أنني أنظف الجملون، أخرج بقايا القش والسنابل العالقة في المؤخرة. لماذا فعلتم بي هكذا؟

بلا مبالاة، قال أنترانيك الابن الأوسط لكارو:

ـ كنا نمزح معك. لم نكن نريد أن نشغل المحرك. لقد أدرناه دورة صغيرة حتى نرى ردة فعلك. قلت له:

ـ أنظر كيف تمزق فخذي. هل هذا مزاح؟ اصعد إلى المكان الذي كنت فيه مدة عشرة دقائق. سأراك كيف ستتصبب من العرق. وستبول على نفسك من الخوف.

ـ اخرس. سد فمك ولا تطول لسانك. هل فهمت!

ـ لا لم أفهم.

ـ أنت واحد منحوس.

ـ المنحوس هو أنت وأبوك. هل فهمت؟ مصلحتكم فاشلة. وأنتم فاشلون يا أهل السخنة.

كان العم عزو والخياط إبراهيم واقفان لا يتكلمان.

وخيمت قبل بضع أيام بالقرب منّا حصادة حمراء، عنتر/انترناشيول/. الجميع تحدث بصوت واحد. قال أحدهم:

ـ أنت مخطئ. خوفك المبالغ فيه كان الدافع وراء رميك لنفسك من مؤخرة الحصادة. قلت لهم:

ـ من الآن وصاعداً لن أصعد إلى مؤخرة الحصادة إلا ومفتاح محرك الحصادة في جيبي، هل فهمتم. قال أحدهم:

ـ صاير بطل يا آرام.

قلت له:

ـ تركت البطولة لك. لأبوك. شرف، اصعد بدلا مني إن كنت رجلاً..

المؤتلفون في نيويورك..!

طارق عبد الغفور

شهدت إيران في الأسابيع الماضية أحداثاً لم تكن بعيدة عمّا شهدته بلادنا في بداية الثورة، وربما توقفت أحداث إيران لكنها لن تنتهي، وما يهمنا فيها أنها أكّدت المؤكد الذي هو نفاق السياسة الأمريكية وكيلها بأكثر من مكيالين.

وأكثر تغريدات الرئيس الأمريكي على تويتر صفاقة ووقاحة تلك التي تقول إن الشعب الإيراني قُمع لسنوات طويلة، وهُضمت حقوقه، وأنه توّاق للحرية، وأن وقت التغيير حان، وكأن الشعب السوري لم يُقمع لسنوات طويلة، ولم تُهضم حقوقه وأنّه ليس توّاقاً للحرية، وبالتالي فإن وقت التغيير بالنسبة له لم يحن بعد. إن ما يقوله ترامب على تويتر الذي يتّخذه منبراً لشرح سياساته الخارجية إنّما يعطي دليلاً على صحة ما يتّهمه به موظفو البيت الأبيض من أنّه غير متّزن عقلياً.

وفي الحقيقة، ليست أحداث إيران، ولا مواقف ترامب منها هي المقصودة بمقالنا في هذا العدد، فلدينا ما يشغلنا سواها، إلاّ أن موقف المؤتلفين من هذه الأحداث هو الذي يلفت انتباه الذين يتابعونه وهو على العموم موقف المترقب الذي لا يرى الى أين تسير الأحداث، وقد رأى أحد هؤلاء -على مثال شرّ البلية ما يُضحك- أن الإدارة الأمريكية لا تمارس الضغط الكافي على إيران لتغيير سلوكها. ذلك أنّه ربما يرى كعضو في هيئة المؤتلفين أن الإدارة الأمريكية تمارس الضغط الكافي على النظام السوري لتغيير سلوكه، وأنه لابأس من نظرة عطف على إيران عجبي.

نعود إلى ما يشغلنا، ذهب السيد نصر الحريري إلى نيويورك فاستبشرت خيراً، وقلت إنه سيظهر على الـ(C N N) أو على غيرها من قنوات التلفزة الأمريكية الشهيرة أو أنه سيكتب في النيويورك تايمز أو في غيرها من كبريات الصحف الأمريكية لكي يشرح للرأي العام الأمريكي حقيقة ثورة الكرامة السورية، وخطأ موقف الإدارتين الأمريكيتين السابقة والحالية منها، ويعمل على حشد الدعم اللازم لها المادي والمعنوي فيتغيّر واقعها. إلاّ أنه لم يفعل فانتابتني خيبة أمل لم تكن شديدة، وأصابني إحباط لم يكن هو الآخر شديداً، ذلك أنه كرفاقه في هيئة المؤتلفين ظهر على شاشة الحدث المفضّلة لديهم ليشرح لنا نحن الشعب المنكوب واقع حالنا -فنحن لا نعرفه- ويشرح لنا لماذا ذهب إلى أمريكا.

واقع حالنا أن النظام لا يعترف بالعملية السياسية، ولا يعترف ببيان جنيف، ولا بالقرار 2254 ولا بغيره من قرارات الأمم المتحدة، ولا بمفاوضات آستانا المستمرة، ولا حتى بمؤتمر سوتشي العتيد، إلاّ أن التصعيد الميداني الخطير الذي يمارسه النظام، والذي هو ديدنه يهدد العملية السياسية.

وواقع حالنا أنّ الأمم المتحدة -وبكل وضوح- منزوعة الأظافر، ولا تستطيع تحقيق شيء لأن مجلس الأمن مغلق بالفيتو، وأنّه شيء محبط ألاّ تتمكن المنظمة الدولية من تحقيق أي إنجاز في الملف السوري، إلاّ أن من واجب الأمم المتحدة أن تركّز على القبول العلني للنظام بتطبيق بيان جنيف والقرار 2254 -ومع ذلك يُصرّ السيد الحريري على إحراز الانتصارات الخُلّبيّة في مفاوضاته هو معها-.

وواقع حالنا أنّ مواقف أصدقاء الشعب السوري خلال السبع سنوات هي في أغلبها محبطة، إلاّ أنه على المجتمع الدولي أن يُعيد تفكيره بالملف السوري بشكل عام.

هذا واقع حال الشعب المكلوم، وحال قضيته كما يراه الدكتور نصر الحريري رئيس وفد الهيئة العليا للمفاوضات، فلماذا ذهب إلى نيويورك؟ ذهب ليبني موقفاً دولياً مشتركاً جديداً وحاسماً -بدون أن يرشدنا إلى ماذا نفعل بالمواقف القديمة؟- لتبنّي عملية سياسية في جنيف ترعاها الأمم المتحدة -المنزوعة الأظافر والعاجزة عن تحقيق أي إنجاز- لتطبيق قرارات مجلس الأمن -المغلق- بما يضمن تحقيق الانتقال السياسي الموصوف في بيان جنيف.

هذا ما جاء على لسان الدكتور الحريري حرفياً في مقابلته على شاشة الحدث، ألا يرفع ذلك ضغط دم القارئ والسامع ويرفع نسبة السكر لديهما؟

يا دكتور: الشيء الوحيد المعقول في حديثك هو أنك تريد بناء موقف جديد، وبناء الموقف الجديد له متطلبات لن نعيدها عليك. فقد كتبناها مراتٍ كثيرة على صفحات الحرمل. المطلوب منك فقط أن تقرأها.

كلمة حق..!

صفية الدغيم

لم أشهد عبارتين في الثورة يتجلى فيهما المعنى الحقيقي لمفهوم (كلمة حق يراد بها باطل)، كما يتجلى في قول المنافقين (اتقوا الله في المجاهدين) وقولهم (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها).

يعني صحيح أن الجولاني وأتباعه من مجاهيل النسب حرفوا مسار الثورة، وصحيح أنهم بدلوا أهدافها ووسموا ثورتنا بوسم الإرهاب، وصحيح أنهم فرضوا منهجهم على الناس بالقوة، وصحيح أنهم قضوا على 80% من الفصائل الثورية التي أثخنت في النظام، وصحيح أنهم صادروا سلاح الفصائل ونهبوها، وقتلوا قسماً، واعتقلوا قسماً، وشردوا الباقي، وصحيح أنهم سرقوا مقدرات المحرر باسم الغنائم، ففككوا المصانع، وصادروا صوامع الحبوب، وفككوا السكك الحديدية وباعوها، وهاجموا شاحنات الإغاثة، وافتعلوا معارك في غير مكانها وزمانها ليهدموا مدن الثائرين، وعقدوا اتفاقيات التسليم الخاصة بالمدن الأربع التي كان الهدف منها حماية الفوعة وكفرية، وكذلك «أبو دالي» التي سلموا بعدها ما حرره أبناء الأرض لروسيا والنظام، ولكن اتقوا الله في المجاهدين.

المجاهدون يا سادة لقب لا يستحقه بنظرهم أبناء الأرض الذين ثاروا على أجرم نظام عرفه التاريخ، فقدموا مئات آلاف المعتقلين، والذين مات منهم عشرات الآلاف تحت التعذيب، المجاهدون يا سادة لقب لا يستحقه من دمرت بيوتهم وصودر رزقهم وحطم مستقبل أبنائهم وشردت عائلاتهم لأنهم خرجوا نصرة للمظلوم ورداً للظلم. المجاهدون يا سادة لقب لا يستحقه بنظرهم من قاتل النظام وحرر أكثر من ثلثي سورية قبل أن ترفرف الرايات السود كقلوب حامليها في سورية.

يطلبون منا أن نتقي الله في من سرق ثورتنا وقتل ثوارنا وشردهم ولا يتقون هم الله في ثورتنا ودمائنا التي تسفك بغير حق، وثوارنا الذين شردوا وهم البدريون حملة الراية الأولى حين كانت الصرخة في وجه النظام انتحاراً والذين هم أهل الأرض وأم الولد.

المجاهدون في نظرهم يا سادة هم فقط الذين تركوا بلدانهم التي يرتع فيها الظلم والفساد وجاؤوا لبلدنا ليقيموا خلافتهم وإمارتهم على أشلائنا وأنقاض ثورتنا.

ولو كان ترك الوطن والأهل فضيلة دون النظر للغاية لكانت الميليشيات الشيعية التي قدمت من أصقاع الأرض، وتطوعت للقتال مع النظام أكثر فضلاً من هؤلاء، لأنهم على الأقل لم يعتدوا على من جاؤوا لنصرته، ولم يفككوا جيشه، ولم يعتقلوا جنوده وإعلامييه، ولم يأتوا بمنهج جديد ومشروع مغاير ليفرضوه بالقوة على من جاؤوا لنصرته.

سورية يا سادة لم يكن ينقصها رجال لتفتح الحدود للمتأسلمين الجدد، وكل من جاءنا فقاتلنا لا يعذر، فهو واحد من اثنين، إما عميل لمخابرات الماسونية وجاء بمهمة تفكيك الثورة من الداخل كاتباع حزب النور في مصر وغيرهم، أو مغرر بهم جاهلون بدينهم، غرتهم شعارات الخلافة، فأوكل لهم الطرف الأول مهمة ذبحنا وتشريدنا بتهم الردة والصحونة، وأوهموهم بأن قتالنا أولى من قتال الكافرين، وهؤلاء يحق لنا رد ظلمهم ودفع بغيهم حين بادروا به، لأنه لا عذر في الإسلام للجهل في الأحكام، ولأن لنا أحقية شرعية في قتال الباغين الظلمة دون النظر لنياتهم، ثم حسابهم على الله.

ثم أكثر ما يدفع للجنون يا سادة هو قول المنافقين لنا بأن هؤلاء على حق، وإلا لما كانوا الطرف الأقوى بيننا، ولو كانت هذه حجة مقبولة لكانت روسيا في مقدمة أهل الحق، ومن بعدها إيران، ومن بعدها النظام، متجاهلين أيضاً أن تورع الجيش الحر في دمائهم، وعدم وجود فتاوى التكفير والقتل لديه ساعد في تمكنهم على الأرض، وأنهم شركة مساهمة لكل مخابرات العالم فيها أسهم تدعمها لوجستياً ومالياً بطرق التفافية عليها ألف دليل.

والخلاصة إن القوة يا إخوة ليست دليلاً على صحة المنهج

- الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها -

يعني لا تنبهوا الناس لخطر تفكيك الفصائل، ونهب سلاحها فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، ولا تطالبوا بإخراج المعتقلين النشطاء والإعلاميين وقادة الفصائل بلا محاكمات، فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، ودعوا مقاتلينا يموتون بصمت، لأن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، واسكتوا عن تسليم أكثر من 350 قرية وبلدة للنظام خلال أسبوع بلا قتال من قبل أهل السواد، لأن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، واسكتوا عن تمزيق أعلام الثورة ومحاربة الحريات، وإغلاق الجامعات والمجالس المحلية، لأن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها..!

والغريب أن هؤلاء لا يستخدمون هذه العبارة عندما يعاينون بأنفسهم البغي المتكرر والقتل والتشريد المتعمد لنا من قبل هؤلاء، فليست الفتنة عندهم هي قتلنا وتشريدنا وتفكيك فصائلنا، ولكن الفتنة عندهم هي الصراخ من الألم والإشارة للظالم والاحتجاج على البغي، ألا في الفتنة وقعتم أيها المنافقون، وقد سبقكم باستهلاك هذه الحجة مشايخ السلاطين لحماية عروش الطغاة من ثورة المظلومين، وسبقني بالرد عليكم سيدنا الحسين بن علي كرم الله وجهه عندما قال ليزيد: «والله لا أعلم فتنة أكبر من توليك أمر هذه الأمة».

وأنا الآن أقول: ..والله لا أعلم فتنة أكبر من تغلغلكم بيننا وتصفيق المنافقين لكم.

كيف أصبح السوريون أعداءً؟!

أحمد المجيلي

بعد أن مرّت سنواتٌ عجاف تقارب السبع، لم يعد كثيرٌ من السوريين يأبه لموضوع انتصار النظام على الثوار أو العكس، بل إنّ كثيراً منهم، ولا نقول جميعهم، بات يبحث عن طوق النجاة الفردي الذي يضمن له نجاته وعائلته إن أمكن. فالمبادئ الكثيرة التي تغنى بها مفكرو الثورة ومنظريها لم تنفع السوريين في غربتهم أو رحلة نزوحهم داخل وخارج سورية، خاصة وإن أوّل من كفر بتلك المبادئ هم أولئك الذين نظروا لها وتغنوا بها طيلة عقود.

إنّ المواطن البسيط الذي كان ولا يزال ينشد الأمان والاستقرار، والذي لم يأخذ رأيه أحدٌ حين تولى عليه دكتاتور فاسدٌ، كما لم يأخذ برأيه أحدٌ حين قامت الثورة ونادت بأهدافها باسم هذا المواطن البسيط؛ هذا المواطن كفر بالنظام وبالثورة على حدٍّ سواء، فقد خبر دناءة النظام من قبل، ولاقى ما لاقاه من ظلمٍ وجورٍ على مدى أربعين سنة عجفاء، وحين تأمل خيراً بأولئك الذين امتطوا راية الثورة شعر بخذلان كبير جعله يتحسر على هذه الحياة التي رمته بين أذناب الطغاة والضباع من كل حدبٍ وصوب.

كيف لا، وهو يرى بأمّ عينه أنّ من كان يوماً ينادي بالعدالة قد أصبح ظالماً يفوق جلاده، وأنّ من كان يطالب بسيادة دولة القانون هو أول من انتهز القوانين في كل مكانٍ حلّ به، وأنّ من كان يحارب الفساد والانتهازية هو أوّل من فتح باب الفساد الثوري وراح يوزع الدولارات يميناً وشمالاً على معاونيه، وأنّ من كانوا يجاهرون بعدائهم للنظام ومقارعته ركبوا في أول قارب نجاة، وراحوا يرسلون له الرسائل من خلف البحار بأن عليك أن تثبت في مقارعتك للطغيان ونحن سنؤيدك بكل مأوتينا من لايكات على الفيسبوك. نعم يا سادة هكذا أصبح الحال، وهكذا كفر المواطن البسيط بتلك المبادئ التي تغنى بها أصحابها، وتحوّل كثيرٌ من السوريين إلى مبدأ «اللهم أسألك نفسي» حيث لم يعد معنياً بوطنٍ تتناهشه ذئاب الخارج والداخل، لا بل على العكس أيضاً حاول كثيرٌ منهم الانضمام إلى قطيع الذئاب لعلّه يحظى بقطعة آثارٍ أو قليل من الذهب المطمور هنا أو هناك، وراح يبحث عن نصيبه من الكعكة التي اجتمعت عليها كلاب الأرض كافة.

لا يمكن تفسير ظاهرة متاجرة السوريين بالسوريين داخل وخارج سورية إلا من خلال النظر بعيداً كيف ربّى النظام الأسدي هذا الشعب، وجعل من الأخ مخبراً على أخيه، كما زرع في نفوس السوريين مبدأ الشك اللامتناهي؛ فحين يقدم أحدٌ منهم على مساعدة أخيه لابدّ للأخ من أن يشك بهذه المساعدة من حيث الأسباب والدوافع التي جعلت أخيه يساعده؛ بالطبع، كانت شعارات الثورة تحمل معانٍ سامية قد لا يمكن لها أن تتحقق إلا في مجتمع المدينة الفاضلة الأفلاطونية، وراح هذا الحلم يداعب مخيلة كثير من السوريين الرومانسيين الحالمين بتحقيق هذه المدينة، وقد يكون كاتب هذه السطور منهم، ولكن وبعد أن أسقطت الثورة كثيراً من الأقنعة، بات واضحاً للعيان بأنّ الأمر لا يتوقف على نظامٍ مهترئ لا بد له أن يزول، بل يتعداه إلى منظومة من القيم والمبادئ ترسخت في وجدان هذا الشعب، حالت بينه وبين وصوله إلى مبتغاه دون أن يدفع فاتورة باهظة جداً، وربما لا تكفي.

تتساقط الأقنعة يوماً بعد يوم، وترى أن كثيراً ممن كانوا يحيطون بك هم عبارة عن شخصيات وهمية لا حقيقة لها إلا على الورق، أو في أحسن الأحوال على جدار الفيسبوك، وحين تنظر في مكنونات هذه الشخصيات ترى بأم عينك كيف ارتدت ثوب النزاهة والتقوى والأخلاق الرفيعة، وهم في الحقيقة ليسوا سوى تجار كلامٍ يبيعونه هنا وهناك، ثم لا يلبثون أن يشتروا به قليلاً من العطور الباريسية أو المعاطف الإنكليزية علّها تغطى على روائحهم النتنة، وتخفي سوءاتهم التي لا يمضي يوم إلا وتظهر للعيان بوضوح أكبر يجعلهم مكشوفين على شخصياتهم الحقيقية التي يخفونها.

لا يمكن لثورة أن تنجح وفي ركبها يسير الدنيء الذي لا يوجد عنده شيء غير قابل للتفاوض حتى لو كان لباسه الداخلي؛ كما أنّ الثورة الحقيقية تلفظ أولئك المخاتلين المخادعين الذين يميلون حيثما مالت مصلحتهم ومنفعتهم الشخصية، فهو اليوم عربي سني مسلمٌ ويراعي مشاعر الإسلاميين في مشروعهم مادام الأمر يحقق له مبتغاه، وغداً هو كردي من أصولٍ ضاربة في أعماق التاريخ الكردي ما دام الأمر يضمن له وعوداً في الدولة الناشئة حديثاً على ركام دولة الإسلاميين، وبعد غدٍ ربما يضطر إلى تغيير اسمه على الفيسبوك وكتابته باللغة التركية فهو الضامن له وهو جواز سفر وعبورٍ له ضمن ما تريد تركيا أن تؤسسه داخل حدود بلده، ومن يدري قد يضطر في نهاية المطاف إلى لعق حذاء أحد شبيحة الأسد مادام الأمر يحقق له منفعة شخصية ويضمن له السلامة والنجاة الفردية على مبدأ «ألف أم تبكي ولا أمي».

هكذا تحوّل كثير من السوريين إلى مشاركين في استباحة وطنهم ليدفع هذا الوطن الثمن وحده، لأنه رضي أن يربي أبناء عاقين له، مستعدين لبيعه في أوّل مزادٍ علني. لذا لا يمكن لثورة أن تنتصر وبين ظهرانيها أمثال أولئك النفعيين المتلونين، وربما قد يضطر السوريون في منافيهم إلى تربية جيل جديد يحمل أفكاراً ومبادئ يؤمن بها ويؤمن بالدفاع عنها، عسى أن يعود هذا الوطن يوماً لأبناء أبنائه.

بلا ضفاف

سوتشي.. ربّ ضارّة نافعة

أمجد آل فخري

على مشارف إقفال الملفّ السوري عسكرياً يتسابق اللاعبون إلى حلبة الصراع السياسي لتحصيل ما لم يُحصَّل في ساحات القتال، وكلّ يرمي بأوراقه يضغط على الآخر أو الآخرين من أقرانه أو تابعيه؛ لتتشكّل حلقة يتبارى فيها المتنافسون على تقديم أجمل فنونهم في الاستعراض الدبلوماسي حيناً والسياسي حيناً آخر.

فلسنوات خلَت كان لافروف يسود خيمة السيرك بحركاته وخطواته البهلوانية، مرافقاً جون كيري المُنهَك بأخلاقيات أوباما ورؤيته البعيدة في القضية السورية، فيحقّق لافروف النقلة تلو الأخرى صوب هدف يجعل الروس حاضراً دائماً لا طارئاً في منطقة الشرق الأوسط، ولاعباً أساسياً فاعلاً في القضايا الدولية، ورأساً يمكنه إبداع الحلول واجتراح المعجزات حين عَجْزِ الآخرين، ليصل أخيراً إلى دفع بوتين لاقتراح مؤتمر سوتشي بعد عام كامل من مؤتمرات أستانا المغطاة أممياً، والتي فرّغت محتوى جنيف، وتقاسمت معه سلال ديمستورا؛ ليكون جزءاً من رؤية روسية لحلّ يُرتجى للقضية السورية، وهو الأمر الذي يريده الروس لسوتشي المنتظر، مباركة أممية ومشاركة دولية صورية تغلّف عفن اللمّة السورية «الألفيّة» التي عليها أن توقّع صكّاً بالتنازل عمّا يجب أن يكون، فلا انتقال سياسيّ حقيقيّ، ولا محاسبة للقتلة، ولا دستور يضع البلاد التي دفعت الثمن دماء ودماراً على أبواب الحرية والعدالة والكرامة.

ربّما أهمّ ما حقّقته الدعوة الروسيّة لانعقاد سوتشي، ليس تحريك شهوة المتنافسين على الكعكة السورية إقليمياً ودولياً، وفتح سجلّات المحاسبة بينهم، وإبراز قدرة كل منهم على العرقلة أو الابتزاز، بدءاً من أمريكا وانتهاء بإسرائيل مروراً بميليشيات الممانعة الطائفية الإيرانية وحسب، بل إيقاد شعلة الوطنية السورية من جديد وإحياء الروح الخابية للثورة المغدورة، ليتنادى السوريون توحيداً لرؤيتهم، ونبذاً لفرقتهم وإعلاء لصوت قضيتهم، ويتداعون رفضاً لما يُحاك لمستقبل بلادهم، وعملاً -ولو بحدّه الأدنى- يعلن قدرتهم على احتضان قضيّتهم وقلب الطاولة في وجوه اللاعبين.

وكأنما سوتشي تلك النار التي التهمت كوخ ذلك التائه في جزيرة نائية بعد تحطّم مركبه؛ ليُعلم السفن في البحر بوجود إنسان في الجزيرة التي ما عُرفت فيها الحياة قطّ، فيفيد من حيث لا يدري، وتكون مدينة سوتشي بمؤتمرها.. الضارة النافعة.

من اليأس إلى الأمل

مهرية بن زرارة

وتحط حرب العصر أوزارها، لتجعل الإنسان روحاً ملتهبة محبطة، مُلتهبة بالقهر، بالألم والغبن، في عالم لا يحترم الضعفاء، لا يقيم ورنا للمظلومين. لا يساعدهم على تجاوز محنتهم، ولا من ينصرهم. فيضطرهم للبحث عن مخرج، ولو إلى حين. في هذا الجو المتردي الحزين وُجب على كل مهموم، أن ينفتح على الأمل، يحبه ويسير على هديه كي لا ييأس فيتيه، فلنتبعه واثقين بمحيطنا، وبالواقع الذي نحن نعيش فيه. برغم أحزاننا، نحاول أن نتحدى اليأس، ونتابع مشوارنا بأمل، مهما كان. كم هو غريب ومقرف، أن تسود الحرب القلوب. العين تبكي، وبالدم يدوّن اللسان. واللافت أن أصبحتّ كل أنواع الكلام عتمة وظلام، وبكل اللغات تقريباً، إذ يكاد يستغرقنا وقوع الحزن أو تفسيره.

لقد اشتدّت الحرب وتفاقم الظلم، فلم يجد المتضررون المتألمون أمامهم خياراً إلا هذا الخيار اليائس، البائس الحزين، رغم صبرهم، وما شهد ويشهد لهم التاريخ من شجاعة ومعاناة. ولكن، كم هو عظيم أن نتشبث بالأمل الذي به يستقيم النهوض، تفاءل دوماً «وأحسن الظن بالله»، فمن ظن بالله خيراً وجده، ولأن الأمل مصافحة جادة، نجابه دوامة الحرب وبرودة الموت، وبه نزرع ومضات النور على جبين الحياة.

ويتساءل العام وكذا الخاص. كيف نتجاوز هذا اليأس إلى الأمل؟ في عصرنا هذا، وفي حربنا هذه. كيف نصرع أحزاننا ونتمكن من الانتصار بدل الانتحار؟ كيف نلملم شتات جهودنا الذهنية لنزاول حياتنا اليومية، ونتحدى وحشيّة العدوان؟ كيف نحطم خنادق اليأس التي يبتغيها خصمنا، يحفرها فينا بحذق وخبث، يسعى جاهداً من أجل نبقى قابعين بكهوف إحباطنا منهارين؟.

ولا يفوتني أن أستميح العذر من كل أرض تكابد حرب العصر الضروس. أستميح العذر من كل شعب يتنفس جحيم الكريهة، ينهشه الخوف، في الليل والنهار استسمحهم جميعهم. ونحيطكم علماً أشقاءنا في سورية والعراق، في اليمن وفلسطين، وفي كل مكان وضعت الحرب أوزارها فيه. وباسم الضغينة قتل الأخ أخاه، باسم الثورة، وباسم دعاة الحق، الديمقراطية الأحرار نقول: إننا ندري أنه مهما كان تعاطف الشعوب، ومتابعتها للمشهد، لكنها لا تعي ربع أرباع لوعة ما هم فيه. نؤكد لإخواننا المتضرّرين، أننا نعلم وبقوة، وأنه من في قلب النار لا كمن يتفرج عليها من بعيد. وصدق من قال: «إن كل من على الشاطئ عوام». ولكن يجب طرح السؤال إلى ما هو أعمق، وأشد خطورة على النفس، وأن الحرب تُولد اليأس، واليأس يلتهم الأمل، كما تلتهم النار الحطب.

المأساة صارخة بالشارع العربي. مؤشرات تستفز طموح المواطن بين اللحظة والأخرى. شؤم يُخرجه من دائرة الأمل بقوة. قذائف ودخان متصاعد، غازات سامة، خراطيش واغتيال وبراميل وطائرات.. النار تترصد الأرواح من الظهر وجهاراً نهاراً، يحصد الأفراد كما يقصف الجماعات.. دمار، تشرد، مجاعة، هجر، ترحيل، نزوح.. وناهيك عن اغتصاب واذلال الحرمات، وزواج القاصرات، والمتاجرة بالبراءة.. كل أنواع الاضطهاد، وللأسف لا رادع لمكينة الغدر ومحرقة الشرف.

ولهذه الرسائل المحملة بالخوف والتخويف، وقع خطير على الكبير، فما بالك الصغير. الحسرة والإحباط، والخبر المشين يصل المواطنين إلى عقر دارهم. انهيار عصبي يزف، يعُرض ويُنشر عبر قنوات الاتصال، وشبكات التواصل الاجتماعية بمختلف أنواعها، وفي كل الأوقات، وبكل اللغات.. في غمار هذا الواقع المر ينمو اليأس، ويتفرع، ويكابد ضحاياه، وقد استفحل المرض، استغرق الدم والخراب في ديارهم سنوات. فكأنهم نشأوا وتبرمجوا على حزن خبيث، ونظرة للحياة قاتمة، فاستعبدتْ السلبية قلوبهم، وغزت كيانهم، عن قصد، أو غير قصد. لوّثتْ هواءهم، واغتصبت أرضهم العذراء. خوف وقلق وإحساس بالضعف مهول، لقد جردتهم الحرب من طموحاتهم.. دوامة قاتلة تغزوهم. والإرهاب هلع مهوس، موت يسري في ضلوع الناس، وهم في حاجة ماسة ليحيوا، رغباتهم الروحية تصيح، والجسدية تصرخ بإلحاح فتتوجع كل الحواس. يستسلم الموجوع فيلغي نفسه، يقهرها، يهمشها. وهنا يتجرد من الرجاء، يلفّه الحزن فينتصر التشاؤم عليه. يسكنه فيتعوّد عليه، بإرادة أو من دون إرادة وتستمر المأساة.

ولكم سمعنا العبارات المحبطة التي يكررها شعبنا الموجوع باطراد: وإننا أقل بكثير من خصمنا.. وأننا ننتظر الموت المؤكد.. وأن البكاء قليل علينا قليل.. ولأن البحر يأكلنا، فالموت أرحم.. الانتحار خير من الهجر، والبعد عن الديار..

لا ذلّ بعد ذلنا هذا.. وغيرها من العبارات التي تقطر دماً ودموعاً. وتترسخ هذه الأفكار، ولكونها من الحقائق ملموسة المعيشة، يرسخها الواقع، فتترسخ في الأجيال أكثر فأكثر، وتأخذ مكانها وتتجذر في العقل الباطن، ولهذا استعبدنا اليأس، استوطن فأصبح قيمة من قيّم شعوبنا العربية والمظلومة مثلها..

استفحل المرض، تجذر لدرجة أن المواطن أصبح يعتقد أن لا قيمة له في الحياة، فكانت الطامة.

السؤال بصيغته الدقيقة: إلى متى إلى متى الحزن والإحباط؟ هل يستمر يأسنا وبأسنا القاتل؟ ألم يحين الوقت بعد لتحدّي هذه السلبية؟ ونحن نعلم أن الحرب إلا غياباً فعلياً للقانون. رحاها تطحن الأنفس والعقول، آلة تحصد الأجسام وتزرع الإحباط والسوداويّة. ومن أعمار الناس تستغرق الوقت الطويل. ولقد تطورت في بداية القرن العشرين، وفي عصرنا تكالبت جرائمها وتكاثرت بأضعاف الأضعاف، حيث وصلت عملية تقنين الجريمة ضد الإنسانية إلى ما هي عليه. فهل نستمر بين قضبان الأحزان؟ وما يحدث في بلاد الشام حقيقة لا قصة، رعب خرافي من نسج الخيال، بل مشاهد من واقع أليم لا أفلام عنف ورعب تعرضها السينما على الجدران.. نعم كل أنواع الحرب متواجدة هناك وبقوة قتالية فكرية سياسية، طائفية، عدو داخلي وخارجي، تحالف مفبرك يزرع فتنه بين أفراد الشعب لتفريقهم وإضعافهم، ليس إلا..

إلى متى اليأس؟ سؤال مطروح ومهم ولكن الاستفهام الأهم و لأكثر إلحاحاً: كيف القضاء على غول اليأس ومزاولة الحياة اليومية، عاديين قدر ما استطعنا، لا قانطين..

متى نرحم أنفسنا؟ نرحمها ولو متمظهرين، نكتم غيضنا لنشجع النشء على الأقل، لنغرس فيهم بذور أمل، ولو ضئيل هو. نحاول أن نحيي ومضة الفرح، نفتح للتفاؤل، لأنه يحفر بأغوار النفس العطشى، ويبقى جميلاً.. ذكرى طيبة، يبتسمون لها فيتدفؤون. تأكد فهي أحسن ضمادة للجراح، وأحنّ كفّ لمسح دموع الضيم والحرمان.

لنحاول ولو بأبسط الإيمان، ولو من حولنا هالة من المعاناة.. فليساهم كل على مستواه، المهم لا نراوح في نقطة الصفر، كما يراوح عملاء المرحلة المغرضون الذين يعنّفون شعوبنا، ويرغموننا على الإدمان، يعنّفوننا على تعاطي كؤوس اليأس والخوف من المجهول. متى نتوقف عن صراعاتنا الذاتية، والنزوع إلى الاكتئاب، والتحسر لدرجة مقت ذواتنا، وإلغاء أنفسنا وتصغيرها حتى الأفول. وكأن الوقت ينتقم منا بلا رحمة، بلا استئذان، ونحن ننتقم من أنفسنا، ونمارس عليها سطوة رهيبة كما يمارسها علينا رهب الحرب وإرهابه.

كن حيث أمالك تريد أن تكون، اتبعها كعباد الشمس للشمس، ولو كانت ضئيلة تكبر وتكبر بها، قد تتحدى المستحيل تشارك في موسيقى الكون فيذبل اليأس يتلاشى ثم يغور.

قصة قصيرة

ضحية آخر الشارع

شريف صالح

ذهبت لاستلام سيارتي من الميكانيكي في شارع جانبي متفرع من شارع فيصل. وكان الميكانيكي هو نفسه قس الكنيسة المجاورة للورشة لذلك منحني بركته بيد ومفاتيح السيارة باليد الأخرى، وعندما هممت بالركوب اقترب مني كهل مبتسماً.

كان يعرج في مشيته وذراعه اليمنى ملفوفة في جبيرة ملوثة.

طلب مني أن أوصله فترددت. قلت له إنني سأتجه إلى آخر شارع فيصل، ظناً مني أن معظم الناس يتجهون إلى أوله في اتجاه ميدان الجيزة. فاجأني بقوله: «ممتاز جداً».. وصعد خلفي.

كنا في المساء وأعداد الناس في هذا التوقيت قليلة نسبياً. لم يرق لي أن يركب في المقعد الخلفي كأنني سائقه الخاص، فمن الذوق أن يركب إلى جواري!

انطلقنا ولمحته من المرآة لا يتوقف عن الابتسام. ابتسامة بلهاء ومريبة. بان لي من طرف الجبيرة مسمار شبه معقوف، فاستغربت لأنني لم ألحظ هذا المسمار قبل أن يركب! رحت أفكر في اللحظة المناسبة لإيقاف السيارة وإنزاله منها!

كنا في أجواء ما بعد ثورة يناير وسمعنا في الطريق إطلاق نار أكثر من مرة إلى أن اقتربنا من آخر الشارع.. لا سيارات.. ولا بشر تقريباً.. مرة أخرى اختلست النظر عبر المرآة إلى ابتسامة الرجل البلهاء ومسماره المعقوف.. تخيلته يقفز فوقي من الخلف ويضغط بالجبيرة على رقبتي أو يطعن طرف المسمار في شريان رقبتي النافر.

راح العرق ينز بطول ظهري. فجأة ركنت السيارة أمام محل مغلق ومكتوب عليه بخط أسود رديء: «للبيع».. هبطت منفعلاً وأنا أجذبه من ياقة قميصه الرث:

ـ «انزل»

ـ «أنت قلت آخر الشارع!»

ـ «لأ.. انزل هنا»

دفعته نحو باب المحل المغلق وأنا أصيح:

ـ «يا بوليس.. يا بوليس.. يا بوليس»!

لم يتوقف أحد لصراخي.. والرجل الكهل استسلم بين يدي ولم يقاوم كما توقعت.. لم يتنازل عن ابتسامته الصفراء إلى أن لحق بنا شاب في يده «سنجة» وعلى بطن ساعده وشم غراب.. تطلع في وجه الرجل بنظرة الخبير:

ـ «هو أنت يا ابن الكلب؟!»

ثم ربت على كتفي:

ـ «خلاص.. أنت رجل طيب.. سامحه.. المرة دي»

شعرت بالحيرة والتردد، فمن يدريني أنه لن يذهب لاصطياد ضحية غيري!

سحب الشاب يدي برفق وحسم لأفلته..

فانطلق الرجل وهو يعرج في ظلام شارع جانبي.

بالكاد ابتلعت ريقي وأنا أهم بركوب السيارة مرة أخرى. انتبهت إلى الشاب يقترب خلفي وفي يده «السنجة»، ودون حتى أن يستأذنني صعد وركب في المقعد الخلفي.

حواجز..!

نجاة عبد الصمد

أقول لزوجي حين صرنا أمام الباص: لا يسافر إلى العاصمة هذه الأيام إلا الطلاب الفدائيون أو المرضى اليائسون أو الموظفون الخائفون على لقمة العيش. فيضيف: بقيت فئةٌ أخيرة؛ المجانينُ أمثالك المسافرون شوقاً إلى الشام.

تبعد دمشق (الساخنة) عن السويداء الآمنة (الباردة) مسافة 100 كيلو متراً، كان المسافر يقطعها قبل الحرب بسيارته أو بالبولمان في غضون ساعة. بعد زرع الحواجز تطاولت الساعة إلى ساعات: حواجز للجيش ولجيش الدفاع الوطني وحواجز للّجان الشعبية. كلّ حاجزٍ منها سلطةٌ عصماء لا تعترف بشرعية السابقة أو اللاحقة. تدقيقٌ في الهويات الشخصية وتفتيش الحقائب وجزادين اليد، (هناك تفييش الهويات على بعضها)، قبل أن يُؤذن للسائق بمتابعة السير.

تفيق عبارة زوجي بعد الحاجز الرابع أو الخامس، حين انبثق جنديّان هكذا فجأةً كأنما من بطن الأرض، وصوّبا رشاشيهما نحو البولمان؛ نحونا، نحن المسافرين المذعورين أصلاً قبل رؤيتهما. وخلفهما جنديان آخران يهدّدان بيديهما السائق كي يتوقف. لم نكن في منطقة اشتباكٍ، ولم نكن في منطقةٍ (محرّرةٍ) يحكمها ظلاميّو داعش أو جبهة النصرة وأخواتهنّ حديثات العهد في سوريا. نحن ما زلنا على حدود السويداء، في المنطقة التي تتبع كليّاً للنظام. مَن هذا الذي يجرؤ على استهدافنا هنا في مناطقنا الآمنة؟! انقضى أكثر من دقيقة وهما يصوّبان ولا يطلقان، لتظهر بعدها سيارة الضابط المفيّمة، وتعبر من يسار الأوتوستراد إلى يمينه!

كان الطريق ساعتها ـ كما هو غالباً ـ شبهَ خالٍ. حركةُ السير عليه ضعيفةٌ حدّ الوحشة. لم يكن على الضابط أن ينتظر أكثر من نصف دقيقةٍ ريثما يمرّ الباص، وتعبر سيارته بعده بسلام. لم يكن مضطراً لأن يرعبنا برشاشات جنوده، لأن وجودهم هنا لم يكن له مبرّرٌ سوى حفظ أمننا وسلامتنا نحن الأقلية المدلَّلة.

لكنّ الشعارات المكتوبة بحبرٍ رديءٍ وبخطٍّ أكثر رداءةً على هياكل الحواجز قد تجيب! ظهر الوعد الصادق مكتوباً على كل حاجز: (الأسد أو نحرق البلد)! ومثله صورةُ الرئيس البهيّة، وفوقها، وتحتها، وحولها مكتوب: (منحبك) و(كلنا إلك). وصورةٌ أخرى له أكبر حجماً وأبهةً، وتحتها عبارة: (صغيرة يا كبير) ونقرأ أيضاً: (أنت بأمان. الجيش السوريّ هنا). أو: (نسهر على أمانكم). وهذا شعارٌ لم أفهمه: (سوريا هي رجال الصواريخ)! وعلى حاجزٍ صغيرٍ ومتواضعٍ كان مكتوباً: (الوطن عرض البني آدم)! يا الله كم أحببتها هذه الأخيرة!

على الحاجز التالي توقنا أكثر من ربع ساعة. الضابط ذو النجمتين على الكتف أوقف سيارته المدنيّة في عرض الطريق وسدّ بها منفذ الخطّ الشعبيّ السيء الحظ دوماً، والخط العسكري السعيد عادةً. اختار هذا الموقع ليتفقّد حقيبته الكبيرة داخل صندوق سيارته. كان يتأمل ثيابه في الحقيبة، ويطويها بأناةٍ كأنه في غرفة نومه يستدعي من ذاكرته حكايةً مؤثّرةً لهذا القميص الأبيض أو ذاك الجورب الأخضر، ونحن من خلف سائقنا نتأمله مشدوهين بأناقته في ترتيب حقيبته.

على الحاجز الأخير لم يستطع الباص أن يكمل طريقه بعد انتهاء التفتيش. كانت أمامه سيارةٌ فارهة تملأ حيّز العبور، يقف أمامها مواطنٌ سوريٌّ سمينٌ وفخمٌ من اللجان الشعبية، بزيٍّ أسود، حليق الشاربين، وبلحيةٍ طويلة، ونظارةٍ شمسية سوداء، ومسدسٍ كبير يطلّ نصفه من فوق زناره. هبّ الضابط رئيس الحاجز لملاقاته أول ما وصل. تعانقا وتبادلا شوقهما وعواطفهما النبيلة، وطال حديثهما الذي لا بدّ أنه عن معضلات البلاد، والركاب في الباص ينتظرون أن يتوصّل الضابط وضيفه إلى حلول ناجعة، ولا يخفون إعجابهم بالإتيكيت الوطني...

كيف تبدو هذه الحواجز؟ باستثناء شجيرات الدفلى القزمة والعطشانة والممرّغة بالرمل على رصيف الطريق، هنا على مدّ النظر فنٌّ تدوير مخلّفات الطبيعة لصنع حيطان وسقف يستريح تحته الجنود: سواتر رمليةٌ اهترأت وسال رملها تحت الشمس، دواليب كاوتشوك مرقّعة، ألواح تنكٍ صدئ من بقايا سياراتٍ تالفة أو تنكات زيت أو ألواح صفيح من البنايات المهدمة المرحّلة، كسرات بلوك، أحجارٌ كبيرةٌ وصغيرة يتسلّى هؤلاء الجنود الواقفون في العراء بتحريكها في أوقات الضجر، يرصفونها طولاً أو عرضاً، أو متعرّجةً كما في مدارس تعليم السياقة، وقد ينقلون الحاجز 100 متراً إلى الأمام أو الخلف أو يزيدون عرض الخط العسكريّ لتمر منه الصبايا الحلوات ويرطّبن قلوب الجنود بضحكةٍ أو رائحة عطر.

معظم الجنود لم يزوروا أهلهم منذ سنة. معظمهم كان يجب أن يتسرّحوا من خدمة العلم منذ أكثر من سنة، معظمهم لم يأكل طعاماً يليق بجنديّ، أو لم يشبع يوماً من طعامٍ رديءٍ منذ

أكثر من سنة، ولم يستحمّ بماء دافئٍ منذ دهر. أعمارهم لم تتجاوز العشرين، كان عليهم أن يكونوا في أولى سنوات الجامعة، يدرسون ويواعدون البنات ويشرقون.

بدت أرواحهم منهكةً وهم يفتشوننا. كلهم طلبوا ماءً للشرب.

اقترب أحدهم من شباك السائق: «بترجاك بطريق الرجعة تجيبلي قنينة ميّ باردة من مَيّة السويداء حصراً!». (في سفرتي القادمة سأحمل معي ثماني قناني ماء بارد، على عدد الحواجز المرشوشة على طريق الشام...).

حدث منذ عام مضى..!

جنان الحسن

تلك كانت بلدة بعيدة عن المدينة التي نقيم فيها، تبعد لا يقل عن نصف ساعة من مسير السيارة، وكان لزاماً علينا تسجيل العائلات اللاجئة هناك، وتدوين التفاصيل الخاصة بهم ورفعها لرئاسة المنظمة للنظر بوضعهم في تقديم المساعدة، تلك المساعدات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، كانت عبارة عن بطانيات للنوم ومفارش ومخدات وبعض من الأواني المنزلية تساعد وإن قليلاً في وقت العسر هذا الذي نعيش، ومن كان محظوظاً قد يحصل على سجادة، تمنع عنه بعض البرد في قارس الشتاء..

حطّ الرحال بنا هناك فتوزعنا لمجموعتين من أجل كسب المزيد من الوقت، وإنجاز العمل بأسرع وقت ممكن، فكان نصيبنا ما كان أنا ورفقتي..

لا أعلم إن كان يحق لي أن أطلق على ذاك المكان مسمى البيت..!!

أيعقل أن تكون البيوت بهذا الشكل..؟!

اجتزنا الباب الخارجي لساحة صغيرة أوصلتنا مباشرة عبر باب آخر إلى داخل البيت، وجدنا أنفسنا في صالة أو هي موزع للغرف.. لا أعلم المسمى المناسب.. فتحة كبيرة في السقف وأعمدة تكاد تتساقط فوق رأس ساكنيها، أخافتنا بداية من الدخول، فقد تنهار في أي لحظة، لكن صاحبة البيت شجعتنا مرددة: «لا تخافوا ما بيصير إلا اللي الله كاتبه»، الفتحة مغطاة من السطح بقطعة كبيرة من المشمع أو النايلون السميك القاسي كي تمنع دخول الأمطار إلى داخل البيت. الوقت شتاءً وخير السماء لم يتوقف كثيراً تلك الأيام..

الأرض ترابية، تفوح منها رائحة الرطوبة، ورائحة التراب حين يشبع بالماء، يفتح على هذا المكان أبواب أربعة، غرفتان ومطبخ وحمام، خلف الأبواب جدران متهالكة بالكاد تمسك بالسقف، فيها القليل من الحاجات والاحتياجات التي تكرّم عليهم بها أصحاب المنطقة، وبعض المنظمات المعنية بالأمر..

كان علينا أن نتعرف بالعائلة، سيدة وأربعة أطفال، قادمة من ريف حلب، استشهد زوجها بالقصف وهربت هي بأطفالها باتجاه المنفى..

ولدان وبنتان، الجميع يذهب إلى المدرسة، تصر هي على تعليمهم، تقول هو حبل النجاة الوحيد لهم اليوم مما نحن فيه، الولدان يعملان بعد الظهر في كل ما يتوفر لهما من عمل، وهي تعمل لدى أهل الأرض الأصليين في الحقول. متعبة يبدو الشقاء على وجهها بقوة، وفي يديها، لكن عينيها لمعت وبقوة، صاحبتها ابتسامة رقراقة كخير الأرض حين حدثتنا عن البنتين وكيف كُرموا في المدارس التركية لتفوقهما على الطلاب الأتراك أيضاً..

تقول: كان احتفالاً حضره الجميع، بكيت فيه من عمق قلبي ومأساتي ومنفاي ووحدتي. لحظة اختلط فيها قلبي ودمعي وضحكتي وألمي معاً في صوت واحد.. لم أعلم بما أرد عليها، بغصة كبيرة ضحكت وهنأتها، وشعور كبير بالفخر ينتابني، هؤلاء أطفال وطني.. هؤلاء براعم حين تتفتح تضحك لهم السماء ويملئون الأرض عطراً..

غدر بهم الجميع..! خانهم الجميع.. تلذذ بألمهم الجميع.. صلبهم الجميع على جدران أكذوبة الحق والخير والشر والقوانين التي سنوها بأرواح خالية من الإنسانية. ودعناها بوعود جدية بالمساعدة وغادرنا واجمين أنا وصحبتي.. في كل مرة نظن أننا رأينا الأسوأ لكننا نعود لنكتشف حجم خطأنا، وأن الأسوأ قادم في المستقبل..!

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: 73 YIL: 4 (2018)
EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa
Alharmal.journal@gmail.com
Twitter.com/AlharmalJournal
FB.com/AlharmalJournal

الشيخ حميدي

عيسى الشيخ حسن

1

«كان جدّي الشيخ حميدي على تخوم الثمانين، حين أدركته، ووعيت عنه أشياء كثيرة، منها حكايته عن لقمان الحكيم وتلميذه في الطبّ، حين أراد الأخير علاج مريض أنشبت حشرة أرجلها عميقاً في رأسه، بالتقاطها بلمقط. فقال له لقمان: «بالنار يا حمار».

2

شهدت الشيخ حميدي في ثلاث مراحل، مرحلة الحرملة، ومرحلة أبو الكالات، ومرحلة أمّ الفرسان. في الحرملة كانت متعته في ممازحتنا، نحن الأطفال الصغار دون السادسة، فيأخذ المطَرَّف (مقص صغير لتهذيب الشعر) ويقول سأطهّركم، فنركض باكين، ونحن نتخيّل ما الذي يجري لأعضائنا، وكان يضحك.

يومها، كان أكثر الناس إخافة لنا، الطهّار، وضارب الإبرة (الحقنة) المؤذية، التي لا يمهرها غير رجل أو رجلين في القرية، يحملها في علبة معدنية، ويتولّى غليها، ثمّ يركّبها، ويكسر أنبوبة الماء المعقم، بنقرة واحدة من إصبعه، ويغمس فيها الإبرة ويسحب السائل، ثمّ يدسّه بهدوء في قارورة الدواء الثانية، فيمتزج السائل بالمسحوق، ويرجّه جيداً، ويسحبه بالإبرة. ثمّ يساعده الأهل بتمديد المريض، فإن كان طفلاً ارتفع الصراخ في البيت، وإن أراد ممازحة الأولاد قال لهم: «هاتوا لي فلان» فنركض صارخين.

3

كان الشيخ حميدي، من أبناء عم جدّي لأمّي، من أكثر الناس تردّداً إلينا، على الرغم من أنّه نقشبدي الطريقة، فيما يتبع والدي الطريقة الرفاعيّة مع جدّي. وقد يتناقشان في هذه المسألة فتعلو الأصوات. لكنّ الشيخ دائم الذكر لشيخه «أبو النصر» الذي يكابد من أجله معاناة السفر إلى حمص. فيما يتبع أبي وجدّي إلى الشيخ «أبو زبيبة» في منبج.

كانت مناكفات النقشبندية والرفاعية هي الوجه الوحيد للمعارضة، التي يستعدي فيها الصوفي من يشاء ويوالي من يشاء دون خوف. وعلى الرغم من هيمنة الرفاعية على الحارة إلّا أن الشيخ حميدي ظلّ نقشبندياً يتحدث عن الشيخ أبو النصر، وابنه الشيخ كُلال، ولا يُخفي هواه للسلطنة العثمانية، بشخص السلطان سليم وأسطورته حين لاعب شاه العجم الشطرنج، وقتله، وبذر بضع حبات فاصوليا على الطريق، قائلاً للفلاح: إذا مرّ بك أحد وسأل عنّي، فقل مرّ عندما كانت بذرتُ الفاصوليا، وتفاجأ الرجل حين نمت الحبّات وأثمرت في يومها.

وهو يدخن سيكارته «الغازي» كنت أغافله وأعبث بعلبة الدخان المصنوعة من الفضة، وكان يتوسّطها حجرٌ كريم، إلّا أنّ التلف لحق العلبة، فبقي أثر الحجر. ولكنّ متعتي كانت في فتح العلبة وإغلاقها مرّات عديدة. فيما الشيخ يتحدّث عن حكاية من الماضي البعيد، حيث تختلط أساطير المكتوب والشفاهي. وقد يطلب كأس شاي صغير، مملوءاً ماءً، فيفتح «باكة» جديدة، ويغمس إصبعين في الماء، ويبخّ العلبة بهدوء، وكأنّه ينقّر شيئاً في الهواء.

4

«هكذا يجب أن تنطقها: حاء ساكنة ومضمومة في الوقت نفسه، تشي بها تدويرة الشفتين قبل نطق الميم المفخّمة مثل ميم «يُمّة» وعمومًا؛ إن لم تكن شاويّاً فلن تستطيع ذلك. حين «انغمرنا» كان للشيخ حميدي بيته في أبو الكالات، شرقي القرية، أرى بيته كلّما ذهبت إلى البئر صباحاً، لأشاهد وِرد الماء، الدوابّ فوق الجابية، والفتيات والنساء الشابّات يحملن إلى البيوت في سطولٍ على رؤوسهنّ يمشين بهدوء، وربّما يسوق بعضهنّ حماراً وضع عليه حمل من الماء، والأحصنة وهي تنوء بالدلاء الثقيلة، وعودتها مسرعةً، ووقوفها المفاجئ على حافّة البئر.

غير أن أيام أبو الكالات مرّت سريعاً، فقد رحلنا في ليلةٍ ليلاء، وكان الشيخ حميدي معنا، وعائلته الصغيرة، وقد أمسينا جيراناً في الأرض والسكن. له القدح المعلّى في أحاديث القوم، وله موقفه الذي لا يتزحزح من السلطان عبد الحميد، الذي سجنه (الكُفّار) في مكانٍ مجهول بنيّة قتله، ولكنّه أرسل رسالةً لقائد جيشه في رسالة نسجها بشكل غطاء رأس حريمي من الحرير، صار اسمه «الحميدية» بلونها الأصفر الكامد، ظلّت النساء يلبسنه إلى أن دخلت السوق شالات الحوارنة في السبعينيات، يجلبنه من «المدينة» وهو اختصار لسوق حلب القديم.

على الرغم من مناكفات الشباب الجدد القوميين، الذين يرون في العثمانيين قوة احتلال، وظلّ الشيخ حميدي يرى في العثمانيين خلفاء الإسلام، وسلاطينهم، وكثيراً ما روى لنا وهو يشرب سيكارته الغازي، حكاية عن السفر برلك، كحكاية ذلك الرجل الذي عاد من الحرب فوجد في بيته ثلاثة أطفال، وقد ترك زوجته دون أولاد، فقال لها: من أين جئت بهم؟ فقالت له الأول كنت حاملاً به يوم سافرت، فقال لها والثاني؟ فقالت له: حلمت بك فحملت به. قال لها: طيب، والثالث؟ فقالت «الأوّل مشيتو، والثاني مشّيتو، الثالث ما يسوى مفاسلة».

5

كان ثمن مجلّة أسامة ربع ليرة، وكنت حريصاً على شرائها، وتابعت مسلسلاً كارتونياً يحكي عن لغز يوجهه الملك لحاشيته: «ماذا يقول الماء عندما يغلي؟» وكان الشيخ حميدي جالساً والمجلة في يدي، فسألني عمّا بها، فحكيت له عن اللغز، فقال لي يقول الماء:

العود مني انسگى واني من العود انكويت

ونسيت الأمر، إلى صدور العدد التالي من المجلة وقد انكتب البيت ذاته، الذي رواه لي الشيخ حميدي، فوجدت في الشيخ مصدراً وفيراً، وكنت أثيراً عنده، أقرأ له من كتب السوق الصفراء التي تتحدث كبدائع الزهور، وحكاية الزير. وكان -وقد كبرت قليلًا- إذا أراد أن يعطي رأياً، أو ينصحني بشيء قال «يا بن بنتي».

رحمك الله يا جدّي

هل ظهر جعموم..؟!

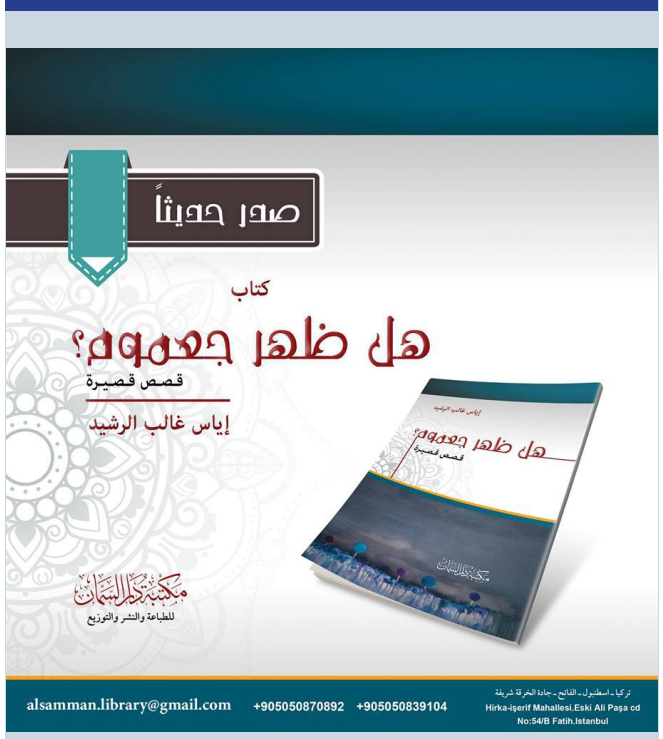

تركيا ـ اسطنبول ـ الفاتح ـ جادة الخرقة شريفة
Hirka-şerif Mahallesi.Eski Ali Paşa cd
No:54/B Fatih.Istanbul
alsamman.library@gmail.com +9050508708892 +9050508391104

الحرمل ـ خاص

صدر عن «دار مكتبة السمان» للطباعة والنشر مجموعة قصصية جديدة للأديب الدكتور إياس غالب الرشيد بعنوان: «هل ظهر جعموم؟»، وتتألف المجموعة القصصية من إحدى وعشرين قصة، وتنتمي إلى حقل الأدب الساخر، وصمم غلاف المجموعة الفنان التشكيلي مصطفى الياسين.

جاء في تقديم المجموعة، التي كتبها الدكتور منذر عياشي: «إذا ارتضينا أن نصنف ما يقدمه الأديب الدكتور إياس غالب الرشيد في إطار الأدب الساخر، فحينئذ سنجد أنفسنا أمام سرد مسرحي المشاهد، اجتهد فيه الكاتب أن يمزج، بفنيَّة عالية وإبداع واقتدار السخريةَ بالمأساة تارة، والسخريةَ بالمضحك المبكي تارة أخرى، وثالثة السخرية بلا معقول الحدث، وعبثية الواقع، وفقدان معنى الوجود، وعدمية السلطة التي تدمر الحياة».

ويضيف عياشي: «ولما كانت قصص «هل ظهر جعموم» تمثيلاً ساخراً، فإنه يمكن النظر إليها بوصفها مدونةً هاجم المكتوبُ فيها الفسادَ بكل أنواعه، والخللَ السلوكيَ، والأخلاقيَ لأناس، ولأحزاب، ولهيئاتٍ، ولوجاهاتٍ معاصرين لزمنِ الكتابة، وكذلك عمل على تتفيهها بما هي تمثله في حقيقتها، والتنديد بكل ما ينتج عنها. ومن هنا، فقد ظهرت هذه القصص متخذةً شكلَ معركة تفنَّنَ الكلامُ في صوغها، فتساوى فيها الرأيُّ، والكتابةُ، والعملُ الأدبي، والحضور الفني».

تتميز مجموعة الرشيد القصصية بلغة أدبية راقية، وبأسلوب فني رفيع، يحاول من خلال فتح باب جديد في عالم الأدب الساخر، وتؤكد أن مفتاح فضح الفساد يبدأ بامتلاك الروح الساخرة، التي يتم توظيفها في كشف المستور، لتكون بحق شاهداً يستطيع طرح الأسئلة الملهمة.

يذكر أن الأديب الدكتور إياس غالب الرشيد من محافظة القنيطرة السورية، نال درجة الدكتوراه في النقد الأدبي من جامعة دمشق، وهو من الأسماء اللامعة في المعارضة السورية، ويعمل في مجال الإعلام، «تلفزيون سوريا» الذي سينطلق قريباً.

TEŞEKKÜR

Şanlıurfa valiliğine, Şanlıurfa valisi sayın ABDULLAH ERiN ve
El HAŞİMİYE ŞEYH-İ MAHMUT KAPALAN›A kültürel ekonomik ve insanlik adına
yapmış olduğu yardımlarından dolayı
EL HARMAL gazetesinin tarafından teşekkürlerimizi sunariz